۱۵۳ پ ک
سال ۱۳۱۸ خورشیدی
بازبینی شد
بازبینی شد
۱۳۵۳
میکروفیلم تهیه شد
آستان قدس
کتابخانه آستان قدس
اسم کتاب حقائق ۶ ب
مصنف فیض کاشانی
مؤلف
خطی نخ ۱۷ سطری
چاپی
سال چاپ یا تحریر — عدد اوراق ۱۴۸
جزء کتب ۱ جلد ق شماره ۱۲۸
شماره عمومی ۸۱۴۶ شماره قبض
واقف شهزاده احمد میرزا تاریخ وقف ۲ ابان ۱۳۳۰
طول ۱۸ عرض ۱۲ گنجه
آفت زدائی شد
تاریخ ۲۸/۱۲/۷۸
سال ۱۳۱۸ خورشیدی
بازبینی شد

حقایق مرحوم فیض

[illegible]

بازبینی شد
۱۳۵۳ خ

... شاهزاده احمد میرزا

۲۰-۱۱-۱۳۳۰

[illegible]

خاقانیا [illegible]

[illegible]

۱۲۴۹

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي نوّر قلوبنا بنور الايمان وعرّفنا من اسرار الحديث والقرآن والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايده الله اني اذكر بعون الله في هذا الكتاب من اسرار الدين ما يرتقي به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله وسنة سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واصفت اليه ما حدث في كتب علماء الدين ولاسيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا لمبانيه وتفسيرا لمعانيه وتقرير انفس ومزيد منقح موشّرا للفرايد مخليا سبيل الزوايد وسميته بالحقايق ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التاييد المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثه ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات ومن الارض

٥

سال ۱۳۴۸ ... بازبینی شد

مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين ياتون بعدي ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي ان كمال الدين طلب العلم والعمل به والا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وعن السجاد عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا عن ابائه عن النبي صلى الله عليه وعليهم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء

سال ۱۳۴۸ ... بازبینی شد

والسلاح على الاعداء والمزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة يقتبس اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى
الى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها
تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر و
هوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل و
ضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد
منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة والاولى
الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب و يعبد
وبه يوصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه
يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه
والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى **فصل** اعلم ان الشيء
النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره
والى ما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب
لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان
الله يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي
يطلب لذاته كالذات والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن
فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انها سلامة عن الالم ومطلوبة

وما يطلب لذاته اشرف و افضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره صح

للمشي

للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا
نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته
وسيلة الى سعادات الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب من الله فانه
لا يتوصل اليهما الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية
والقرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليهما ولا يتوصل اليهما
الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل
السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وتعرف
فضيلة الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين
والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة الملاء الاعلى هذا في الاخرة واما
في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع
حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة
على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل
البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز
لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها
فيتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى
بحقيقة اليقين التي هي اصل كل معرفة راسخة قال الصادق عليه السلم لو يعلم
الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة

لحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤنه بارجلهم و
لنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في رياض الجنان مع
اولياء الله تعالى ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة
ونور في ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال لقد كان قبلكم
قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض
برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل
ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا
ربكم درجاتهم واصبروا على نوايب دهركم تدركوا سعيهم

فصل

العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا
كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد
للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فان اريد به الدنيا التحق بعلم الدنيا
وعلم الاخرة محمود كله واما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم
اما العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته من
صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها
ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية
بذات الله سبحانه وبصفاته التامات بقدر الامكان وبافعاله وحكمته
في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة

والنبي وبمعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملئكة
والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء
وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت
السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملئكة والشياطين
فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة
والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل
والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره ومعنى
حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقاربة الملئكة المقربين والنبيين و
معنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في معاني
هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع
ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات
والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة
من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف

بالعجز عن معرفته وبعضهم يدّعى امورًا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم
يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه
عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فعنى بالعلم المقصود لذاته ان ترفع
الغطاء حتى تتضح جلية الحق فى هذه الامور اتضاحًا يجرى مجرى العيان
الذي لا شك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان الا ان مرآة القلب
قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلابد من تصقيل هذه المرآة
عن هذه الخبايث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته
وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء
والائمة عليهم السلم فى جميع احوالهم فبقدر ما يتجلى من القلب ويحاذى به
شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى و
الخشية والتقوى والذكاء الفطنة وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا
يتحدث بها من انعم الله عليه منها بشئ الا مع اهله وهو المشارك فيه
على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفى هو الذي اراده النبى
بقوله صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة
بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاعتزاز بالله عز وجل ولم يتحمله الا
اهل الاعتراف بالله فلا تحقروا عالمًا اتاه الله علما فان الله عز وجل لم
يحقره اذا اتاه اياه وعن امير المؤمنين عليه السلم انه قال ان من احب عباد الله

اليه عبدًا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح
الهدى فى قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم
الا همًا واحدًا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى و
صار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه و
سلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفى كلام اخر له
عليه السلام قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف
غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل و
تدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة
بدنه فى قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال عليه السلم
انى مجبت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى
البعيدة وقال عليه السلم تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وآله الف
باب من العلم ففتح لى كل باب الف باب وساله كميل بن زياد النخعى عن الحقيقة
فقال عليه السلم ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك قال بلى و
لكن يترشح عليك ما يطفح منى ثم اجابه عما سال وروى كميل انه
عليه السلم اخذ بيدى فاخرجنى الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء
ثم قال لى يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ

عنى ما اقول لك الناس ثلثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة
وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور
العلم ولم يلجاوا الى ركن وثيق الى ان قال آه ان ههنا لعلما جما
واشار الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب له لقنا غير مامون
عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله على عباده
وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له فى احنائه
ينقدح الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا
ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار
ليسا من رعاة الدين فى شئ اقرب شبها بهما الانعام السائمة
كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله
بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته
وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون قدرا
بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله
فى ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السجاد عليه السلم

انه قال والله لو علم ابو ذر ما فى قلب سلمان لقتله ولقد آخا
رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ان علم
العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبى مرسل
او عبد مومن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار سلمان
من العلماء لانه امرء منا اهل البيت فلذلك نسبته الى العلماء
اراد عليه السلام اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة
لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد وفى الحديث
النبوى صلى الله عليه وآله ايضا سلمان منا اهل البيت وفيه
ايضا لو علم ابو ذر ما فى بطن سلمان من الحكمة لكفره وفى رواية لقتله
وعن السجاد عليه السلم فى ابيات منسوبة اليه انى لاكتم من علمى جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم فى هذا ابو حسن الى الحسين
ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى يرون اقبح ما ياتونه حسنا وعن الباقر عليه السلم
الناس كلهم بهائم الا قليل من المومنين اقول وتصديق ذلك قول الله سبحانه
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا و
عن الصادق عليه السلم ان امرنا سر مستور فى سر و سر لا يفيده الا سر و سر على سر
مقنع بسر وقال عليه السلم هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن

سر مقنع بالميثاق من هتكه اذله الله وقال عليه السلم ان امرنا سر مستور فى سر وسر مستسر صح

وهو السر وسر المستتر وسر مقنع بالسر وقال عليه السلم مشيرا الى وجوب كتمان
هذا السر التقية ديني ودين ابائي ومن لاتقية له لادين له وقال عليه السلم
خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولاتحملوا على انفسكم و
علينا ان امرنا صعب مستصعب لايحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او
مومن امتحن الله قلبه للايمان فصل واما العلم المقصود للعمل المتوسل به
الى العلم المقصود لذاته فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرايع
اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر و
الخوف والرجا والتسليم والرضا والزهد والتقوى والغنى والسخا والعفو و
والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص
ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف
منها حتى يقوى من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور
والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع و
والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء
والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا
يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب

والقناعة

النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه
وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ
اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطي و
الاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة
والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والاهانة منهم على الدين والجفا والطيش والعجلة وقلة الحياء
وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش و
منابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات
والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا
فبقدر حوصلته لايكلف الله نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو
العلم بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام
والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام
المحدودة من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربا و
والقرض والقراض والاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان و
والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والنكاح
والفراق وقسمة المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص

والديات وتجهيز الاموات والعلم باداب الاكل والشرب واللباس
والمسكن والتحية والضيافة والطيب والكلام والمواخاة والمعاشرة و
والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض عين بقدر الاحتياج و
الذكا وفرض كفاية للفتيا والقضاء واما الطريق الى تحصيل هذين العلمين
اعنى علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلو عليك فاستمع واتبع
سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخروية يسمى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه
يسمى بالتفقه فى الدين قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
وقال الصادق لاصحابه عليكم بالتفقه فى دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه
من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا وقال
عليه السلم ليت السياط على رؤس اصحابى حتى يتفقهوا فى الحلال والحرام و
قال عليه السلم ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض والمشرق والمغرب
فاذا سالته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شى الى غير ذلك مما فى
هذا المعنى فالتفقه فى الدين عبارة عن تحصيل البصيرة فى المسايل الدينية
علمية كانت وعملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات والمعاملات
فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا وغرضنا الآن بيان كيفية

هذا التحصيل

٨

هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير فى التيه
ونحن بتاييد الله عز وجل نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى
معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس كانوا فى زمن رسول الله صلى الله
عليه وآله ياخذون العلم عنه بما يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين
فرقة قالوا بالاجماع الزور فى نصب الامام وباتباع المتشابهات
فى العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التاويل
واختيار المدلول قبل اختلاق الدليل وهم اصحاب ابى بكر بن ابى قحافة التيمى
وعمر بن الخطاب العدوى ومن يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد
والراى فى كل شى فيتبدل راؤهم ويختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس وان هم الا يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما
مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع فى تحصيل الظن فيما يحتاج
اليه الناس من العلوم الدينيه اصولية كانت او فروعية من القوانين التى
وضعوها والقواعد التى اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات
واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده ان ياخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره
ولو بواسطة او وسايط وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل فى نصب الامام
والاقتصار على اتباع المحكمات فى العقايد والاحكام وتوقفوا على ما جاء به
الوحى والتنزيل واتقاء عما كاد يفضى الى الضلال والتضليل وهم اصحاب

امير المومنين علي ابن ابي طالب الذين لا يقولون الا على النصوص بالخصوص
في كل شي مسلمين لامامهم الاخذ علمه من الله ومن رسوله في كل ما انهاه
اليهم في كل شي مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم واما ما ترى من اجتهاد بعض متاخري اصحابنا وتدوينهم
الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم
كما بينا وجهه في مسفوراتنا مع احتمال ان يكون سبب حدوثه فيهم اولا
مصلحة راوها ومماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا ان دقايق
العلم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم جرت فيهم ثم سرت
في من دونهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سبيل الى الحاقهم
بالفرقة الاولى حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية المحقة
بترويجهم المذهب الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم جل التقية عن كثير من العباد
والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهولاء الفرقة
الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه حين تيسر لهم ذلك والا فانهم ايضا صنفان
بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي
وان شئت فسمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم
فهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد في الدنيا وورع في الدين

فكيفية

فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات احاديث
اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده
وما يجب ان يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ونوره
بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة المرضية وقلبه
المنور بنور اخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى ولولاه لما
عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما
يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصير كانهما متحدان وفي الحديث
ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل
عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظنن ان خواص
المومنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة الجدليين
هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع
واجتماع النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في
الرؤية والى مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يعني نور العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما
هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين
له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه
عليه الامر وكل علمه الى الله والى امامه المنصوص عليه من الله وحملة

بالاحوط ولا يفتي في مثله بالحتم والبت قال الصادق عليه السلم اما انه
شر عليكم ان تقولوا بشي ما لم تسمعوه منا وقال عليه السلم كل علم لا يخرج
من هذا البيت فهو باطل واشار بيده الى بيته فلا يخترع من تلقاء نفسه
قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف فيه كقاعدة حجية
على الاطلاق التي لم يتحرر محل التنازع فيه قط ولن يتحرر الى غير ذلك
من القوانين المسماة عند اهلها باصول الفقه بل يطلب في كل مسئلة
مهمة رواية خاصة يجوز التعويل عليها ودراية ناصة تطمئن النفس
اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالمتشابه لا بل المحكم فيه وكيف يجوز ان
يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا ينبغي تاويله ورده
الى احد الطرفين كما يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه
جعل الامور ثلثة كما ورد في الحديث النبوي امر بين رشده فيتبع وبين غيه
فيجتنب ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين
في العلم العالمين بتاويله فكيف يطلب التثني فيما حكم الله فيه بالتثليث
مع ان في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع
ايضا بين الاخبار المتعارضة الا بما اشار اليه المروي عنهم عليهم السلم من
التفصيل الذي ينتهي الى التخيير وبذلك يخرج البصير من الخلاف والاختلاف والقول
بالراي والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا راي ولا اجماع بل النص معوله

لا على الرواية والدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق
قدماء الاصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث صار من الضروريات
حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع
عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين
طائفة من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير في كلام الصادق عليه السلم
في خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب
فيه واما عوام هذه الفرقة فيكفيه تفقيهم ان [illegible] مسائلهم
عن خواصهم ولو بواسطة او وسائط الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية
الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وادخالهم انفسهم في
جماعتهم فصارت العوام حايرين بايرين لا يهتدون الى شي ولا يدرون
ايا من اي فالحزم لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم متدينين عارفين
باهل البصيرة ليعرفوهم [illegible] فان لم يتيسر فليستفت العامي من غلبت
على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم
فليساله [illegible] الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث احد
من المعصومين عليهم السلم فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس
[illegible] منها بخصوصه وانما يستفاد منها بالاستنباط او هو مما
اجمعوا عليه من غير نص يلغى فيه او نحو ذلك سال غيره حتى

يصادف من اجابته من القران والحديث بخصوص او اشارة له
الى الاحتياط او التخيير فان فعل العامي ذلك فهو المتفقه في تلك
المسألة هذا هو الحق المبين ومذهب قدمائنا الاماميين وعليه
المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام وتسمى بالشيعة
والامامي والاثني عشري الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى
شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب
وهذه النسبة على وجه وان لم يشعر بذلك ثم لا تظنن ان العلم بصدق
نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا بد ان يكون
الوضوح كالعلم بوجودهم في الوضوح والبداهة والقوة او تواترها كتواتره والا
فهي اخبار احاد لا تفيد الا ظنا كلا كيف ولو زعمت ذلك فانك اذا
فتستيقن بامامتهم لان قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك
بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل انك لم تعرف بعد ان اليقين
كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد نور
العقل والشرع واعتضاد كل منهما بالاخر وفي الاحكام الشرعية
يكتفى باقل مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية متفاوتة في القوة
باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما اطمأنت به النفس من
الاخبار تعمل به وكل ما لم تسكن اليه نذره في سنبله روي في الكافي

باسناده

باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث
يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم
له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه وآله والا فالذي
جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه عليه السلام قال كل شيء مردود
الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف وفي
عيون الاخبار الرضا عليه السلام في حديث طويل قال في آخره بعد ذكر
العرض على الكتاب ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله وما لم تجدوه
في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا
فيه بارائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون
باحثون حتى ياتيكم البيان من عندنا وقد ورد في الحث على العمل
باخبارهم عليهم السلام اخبار بلغت قريبا من مبلغ التواتر منها ما دل
على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما دل على جواز
العمل بها وان لم تصدر عنهم عليهم السلام في الواقع وهو قول الصادق عليه السلام
من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما
بلغه وذلك لابد التسليم والطاعة والانقياد لا راي فيه ولا اجتهاد وقول
الصادق عليه السلام احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها وقال
لمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك

بنيك فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم
وقال صاحب زماننا صلوات الله عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا
فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة قد
اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب والتسليم والانقياد ولم يأذنوا في الاخذ
بالاراء والاجتهاد بل نهوا فليس لنا الا الاتباع والاقتصار على السماع من
دون ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومن فضل الله
علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما
بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة
النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل للامام بعد غيبته سفراء الى قريب
من تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة ياخذون
العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها على طمأنينة من قلوبهم وانشراح من
صدورهم بقدر قابليتهم ووسعهم ومنزلتهم فاغناهم الله بذلك عن علم من
لا يجوز تقليده ونجاهم به من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدة
كانوا يرجعون الى الاصول المأخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه
الناس حتى شذ مسألة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي منهم عليهم السلام
وقوله من وفق قال امير المؤمنين عليه السلم يا معشر شيعتنا والمنتحلين
ولايتنا اياكم واصحاب الرأي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث

ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا و
ماله دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا
الحق واهله فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من جهال الملاعين فسئلوا
عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بآرائهم
وضلوا فاضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين اولى
بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر عليه السلم من افتى الناس برأيه فقد دان
الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما
لا يعلم وعن الصادق عليه السلم انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها في
كتاب وسنة ننظر فيها قال لا اما انك لو اصبت لم تؤجر وان اخطأت
كذبت على الله وقال امير المؤمنين عليه السلم في ذم اختلاف القضاة ترد على
احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية
بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند
امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد و
كتابهم واحد ونبيهم واحد افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه
ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم
على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله
دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا

الكفار

في الكتاب من شيء وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق
بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى
عجايبه ولا تنقضي غرايبه ولا تنكشف الظلمات الا به وعنه عليه السلم
اعلموا عباد الله ان المومن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام
ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم الله
عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله واما علم الكلام
فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة
عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق
بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات
تزدريها الطباع وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن
شيء من ذلك مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن
اليوم صار مما لا بد منه حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما
حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان الى استيجار البذرقة
في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو تركت العرب عداوتهم
لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم ان تجرد للمناظرة ولم يسلك
طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين

اصلا

اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه ساير العوام
فيها وهي من جملة اعمال الظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي
بصنعة المجادلة والحراسة واما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله
وجميع ما اشرنا اليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل
يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة
التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المومنين عليه السلم من طلب الدين بالجدل
تزندق وروي ان رجلا قال للحسين بن علي عليهما السلم اجلس حتى نتناظر
في الدين قال يا هذا انا بصير بديني مكشوف علي هداي فان كنت جاهلا
بدينك فاذهب واطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر عليه السلم الخصومة
تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلم لا يخاصم
الا شاك ومن لا ورع له وعن الكاظم عليه السلم قال لعلي بن يقطين مر اصحابك
ان يكفوا عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله
عز وجل وعن الرضا عليه السلم انه سيل في مكاتبة انهم نهوا عن الكلام
في الدين فتاول مواليك المتكلمون بانه انما نهي من لا يحسن ان يتكلم فاما
من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تاولوا فكتب عليه السلم المحسن وغير
المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه اكبر من نفعه انما منعوا من [illegible]

والمناظرة لان لهما ادابا وشروطا لابد من مراعاتها وآفات
يجب التجنب عنها وقل من يهتدي اليها ويوفق لما يجب والا
فالجدال بالتي هي احسن مامور به قال ابو محمد الحسن العسكري
عليه السلام ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين وان
رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام قد نهوا عنه
فقال الصادق عليه السلام لم ينه عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال
بغير التي هي احسن اما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد قرنه
العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا
وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان
وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال بالتي هي احسن قيل له يا ابن رسول
الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير
التي هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده
بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد حقا يريد ذلك المبطل ان يعين
قوله او تجحد

به باطله

به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون له عليك فيه حجة
لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان
يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون
فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده
حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف
المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله
به نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياء الله له
فقال الله له حاكيا عنه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من
يحيي العظام وهي رميم وقال الله في الرد عليه قل يا محمد يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا الى آخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال
كيف يجوز ان تبعث هذه العظام وهي رميم فقال الله قل يحييها
الذي انشاها اول مرة افيعجز من ابتداه لا من شيء ان يعيده بعد
ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي اذا اكمن النار
الحارة في الشجر الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة
ما بلي اقدر ثم قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر

على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم اى اذا كان خلق السموات
والارض اعظم وابعد فى اوهامكم وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة
البالى فكيف جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم و
لم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالى قال الصادق عليه السلم
فهذا الجدال بالتى هى احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم
واما الجدال بغير التى هى احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه و
بين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم
لانك مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا اخر وللعلم النافع صفات
وعلامات واداب فعن الصادق عليه السلم فى قول الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء قال يعنى بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق
فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلم اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار و
تواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا
علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن الرضا عليه السلم قال ان من علامات
الفقيه الحلم والصمت وعن الصادق قال قال امير المؤمنين عليه السلم الا اخبركم
بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب
الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره الا
لا خير فى علم ليس فيه تفهم الا لا خير فى قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير فى عبادة

لافقه

لا فقه فيها الا لا خير فى نسك لا ورع فيه يعنى ان الفقيه حقيقة ليس الا
من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من
الاوامر والنواهى جملة بملاحظة بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه
العلامات السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم فى كل زمان
يكون موصوفا باضدادها فكانه عليه السلم عرض بالعلماء السوء والفقهاء
الزور وقد ابطل بكل علامة مذهبا من المذاهب الباطلة واكثرها فى الاصول
والفروع فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد
وتخليد صاحب الكبيرة فى النار ومذهب الخوارج المضيقة فى التكاليف
الشرعية وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجرى مجراهم من المغترين بالشفاعة
وصحة الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن تشبههم
كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا عن
القران واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء
الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القران و
الحديث والعلم الذى ليس فيه تفهم كالعلم الظنى والتقليدى ومجرد
حفظ الاقوال والروايات فانها ليست بعلم فى الحقيقة وعن الباقر عليه السلم
انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا
فقال يا ويحك فهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد فى الدنيا الرا

في الآخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وعن الصادق عليه السلم
قال طلبة العلم ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل و
المراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل
فصاحب الجهل والمراء موذي ممار متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر
العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا
خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق
يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم
ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه
والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه
يعمل ويخشى وجلاً داعيا مشفقا مقبلاً على شانه عارفا باهل زمانه
مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم
القيمة امانه وعن النبي صلى الله عليه وآله العلماء رجلان رجل عالم
اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار
ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة
وحسرة رجل دعى عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله
الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع
الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة وعنه صلى الله عليه وآله

منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما
احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع
ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن
السجاد عليه السلم مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما
علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا
وعن الباقر عليه السلم من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء
او يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح
الا لاهلها وعن الصادق عليه السلم العلم مقرون بالعمل من علم عمل ومن
عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعنه عليه السلم اذا رأيتم
العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب
ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه اولاً من رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن
الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر
من الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب
بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله
عليه وآله بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورتين

على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول
البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبادة
عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب
فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وآله لا تدخل الملئكة بيتاً فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملئكة
ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة
والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملئكة
وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب الا بواسطة
الملئكة وينبغي للمعلم ان يخلص تعليمه لله من غير طمع وان
يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وأن يبذل العلم لاهله
ويمنع غير اهله فعن الصادق عليه السلم قال قام عيسى بن مريم خطيبا
في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا
تمنعوها اهلها فتظلموهم وأن لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر عليه السلم
ما حق الله على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون
وعن الصادق عليه السلم قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان
لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يوخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

ولما يأتهم تأويله وعنه عليه السلم اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك
اياك ان تفتي الناس برأيك وتدين بما لا تعلم وعن الباقر عليه السلم
من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم ما يستفاد من الانوار
الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلم وبالهدى ما يسمع من
اهل بيت النبوة كما هو لنا وبملئكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار
الى مقاماتهم في درجات الجنان وبملئكة العذاب السايقون لنفوس
الاشرار الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق عليه السلم
اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع
في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السايل
وينبغي لمن اراد العبادة لله سبحانه ان يحصل اولا العلم
بكيفية العبادة من ماخذه وماخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة
الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذين علومهم من الله
سبحانه سئل الباقر عليه السلم عن قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
ما طعامه قال علمه الذي ياخذه عمن ياخذه ولما كان تفسير الاية ظاهرا
لم يتعرض له وانما تعرض لتأويلها وعن النبي صلى الله عليه وآله من عمل
بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق عليه السلم العامل

على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا من الطريق وفي
ذلك ان اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس و
تهذيبها بالاعمال البدنية ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات
والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان ينكشف له المعارف
الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكل انسان
بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف
الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجه ماخوذا من صاحب الشرع صلوات الله
عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل
والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تصير وبالا عليه
اذ تتحرك النفس بالخواطر الوهمية وتستولي عليها الوساوس النفسانية
فيتشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار
الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه صلوات الله
عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهام
كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة
من باب الكفر والزندقة وفي زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما
يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين المقاصمين
للظهر ثم مع ذلك قلما يخلو من اعجاب بنفسه وابتهاج بعمله واغترار

بعبادته ونظره الى سائر الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشخص بالمحنة
بامراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت الى معالجتها وان انتبه لها وربما
يظن الرذائل فضائل والعيوب كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا قال امير المؤمنين عليه السلم قصم ظهري رجلان عالم متهتك
وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال
عليه السلم لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة
على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض معناه ان
كل معرفة تثمر حالا وصفاء في النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة
وكل عبادة تثمر حالا اخر وصفاء غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى
الاولى وهكذا يتكامل الايمان بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص
من التعب والمشقة واستقر في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين
ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة
مشى فيها فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الخبر
النبوي صلى الله عليه وآله من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة
عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها نبذا يكون انموذجا

ضرر

غره يغره غرورا فهو غر

سوا ما نقل الصادق عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله
اذا رايتم اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم ١
واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا
في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله
لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال صلى الله عليه وآله اذا
ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال صلى الله
عليه وآله ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من
٢ اهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد
الكايدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال
صلى الله عليه وآله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين
عليه السلم في خطبة له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع
يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف
على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يوخذ من هذا ضغث
ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على
اوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال عليه السلم ان ابغض
الخلق الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جاير عن قصد السبيل
مشعوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به

ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته
حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس عان
باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما
بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من طائل
جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا
سبقه لم يامن ان ينقض حكمه من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان
نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم
قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام
اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى وراء ما بلغ فيه مذهبا ان
قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل
نفسه لكيلا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات
ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في
العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه
المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه
الفرج الحلال لا ملي باصدار ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه
علم الحق وقال عليه السلم الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون
ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة

واعلى ثمنًا من الكتاب اذا حرّف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف
ولا اعرف من المنكر وعن الصادق عليه السلم ان اصحاب المقاييس فلم يزدهم
المقاييس من الحق الا بعدًا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن الكاظم
عليه السلم من نظر برايه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان
غرضنا في هذا الكتاب مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم
نتعرض لازيد منه ولا للعلوم الاخر وعن امير المومنين عليه السلم انه قال العلم
اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل
ياكل من كل زهر ازينه فيتولد منه جوهران نفيسان احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به
اقول وتصديق ذلك في قول الله سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب
في العقايد اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها الا بوحي من الله
سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه من المعرفة قال
الله سبحانه تعالى فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تبديل لخلق الله ذلك
الدِّينُ القَيِّمُ فقد ورد ان المراد بها المعرفة وفي رواية التوحيد وفي الحديث
النبوي كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
والفطرة في الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع
من داخل كما ان الشرع عقل من خارج فان العقل كالسراج والشرع كالزيت

يمده فما لم يكن زيت لم يشتعل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت
وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولم ينفع البصر ما لم يكن شعاع من
خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ
يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا عن سبلهم واتبعوا اهواءهم
فضلوا واضلوا ثم ان اعقل العقلاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وخير الشرايع
شرعه وانما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع
بامر الله وهدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم ويوم اخرهم
وبرهان ناسب عقولهم ونبههم على ادلة وحجج بلغت اليها افهامهم واتى كل طائفة
من ذلك بما يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال التي هي احسن
ومعجزة لمن له المعجزة اهتدى ليكونوا على بصيرة من امرهم وليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حيّ عن بينةٍ ثم اكمل لهم امور دينهم بحيث لم يحتج امته الى آثار الناس
فيما يعمهم ويعنيهم من امر الدين وليس لقايل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع
يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته بالانبياء
والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم
الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة فان ترا هي
المتبعة وبيناته وحججه هي الملزمة على ان ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع

وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى مسكة قال
الله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد
ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل عليه اهل
السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على اختلاف
طبقاتهم وتشعب آرائهم وتناقض اهوائهم في ابداء الادلة وانهاض الحجج
على امور الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما
عرفوا موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فمعارضتهم
له سبحانه بما دخلوا فيه مما يزعمونه دليلا فجعلوا انظارهم في الدين اتم
في الدلالة مما دل عليه الحق تعالى عن ذلك أفانزل الله دينا ناقصا فاستعان
بهم على اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه واذائه والله
سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء قال امير
المؤمنين عليه السلم القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا
تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات الا به لما ثبت ان خبر هادي الله
سبحانه نبينا صلى الله عليه وآله وقد ثبت انه ترك من بعده لخلافة الثقلين
كتاب الله وعترته المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما
كما استفاض به الاخبار من طريقي العامة والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ
واتفاق في المعنى وفي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي

كتاب الله

كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى
عدم افتراقهما ان علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك
بهما جميعا وفي رواية اني امرؤ مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت
فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف
بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم
فاني سألت اللطيف الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما
خاذلي ووليهما وليي وعدوهما عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي
وسئل امير المؤمنين عليه السلم عن معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن
والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون
كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه وفي رواية من
جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه الى النار وفي الخبر
المستفيض ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق
وفي الكافي عن الباقر عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا اول وافد
على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتابه
واهل بيتي وعن الصادق عليه السلم عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايها
الناس انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل و
النهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود

فاعدوا الجهاز لبعد المجاز فقام مقداد بن الاسود فقال يا رسول الله وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل. وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويخلص من نشب فان التفكر حيوة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القران الا الى النار وعن الائمة المعصومين من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلم من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وآله زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال قال محمد بن

يعقوب

يعقوب الكليني رحمه الله بعد نقل هذا الحديث ولهذه العلة انبثقت على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتاً مستقراً سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معاراً مستودعاً نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى تمم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا لانه كلما راى كبيراً من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله وقد قال العالم عليه السلم ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوماً ايماناً فان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال صلى الله عليه

وآله هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب
ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في
التورية بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقراه مني
السلم ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم
محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله
في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى
ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته
واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه
للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته
فقال اي والذي بعثني بالنبوة يستضيئون بنوره وينتفعون
بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب يا جابر
هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن اهله

فصل

اعلم ان الناس في فهم العقايد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق
بعض ليسوا في درجة واحدة وانما كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من
العقل والفهم والوسع قال الباقر عليه السلم ان المومنين على منازل منهم
على واحدة ومنهم على اثنين ومنهم على ثلاث ومنهم على اربع ومنهم
على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب

الواحدة

الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو وساق الحديث
وقال الصادق عليه السلم الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل
فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح
الزايد رجحانه وقال ايضا لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق
لم يلم احد احدا فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه وتميزه
ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيا
فشيا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به
وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان
شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك
وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتعليم المحض نعم يكون الاعتقاد
الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى
انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس
الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته
ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراءة
الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال يقوى اعتقاده
ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد عليه ادلة مل
من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات

و وظايفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم و
رويته سيماهم وسيرتهم وهيأتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة
له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي
والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة
اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل و
الكلام غاية الحراسة فانما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده
اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان
برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين
والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه
الدواهي والصواعق وعقيده المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل
كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل
الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين
التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شي والاستدلال بالنظر
شي آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل بكسب
الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه سلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف
الشرع العرب باكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث
والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي

الطود الشامخ الجبل المرتفع ص
الدواهي حادثة الدهر ص

طريق الاخرة وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل
ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة
انفتح له ابواب من الهداية وتكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور
الهي تقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد
الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور
اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم
اذ تختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء
والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقات
العقايد للخواص وكيفيه المجاهدة لهم فقد اشرنا اليهما في الفصل الثالث
من الباب الاول   قال حجة الفرقة الناجية نصير الحق والدين
محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو
ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول
فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام المعصوم وكل
ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله فانه
حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شي وهو السميع البصير واما في الاخرة

فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة
وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام
والعلم وغيرهما حادث وقديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مومنا
فان غلب على قلبه شك واشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام
وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق
الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة
لا يومن ان تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك تتشبث بالخاطر صح
جوابها اذ الشبهة قد يكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمل عقله ولهذا ورد
الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجروا ضعفاء العوام واما ائمة
الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري
مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء
فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور
ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق
كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث
لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار
الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق
المجمل بكل ما انزل الله واخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله فمن اشتغل

في الخوض

في الخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وآله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه الوجنة ما ارتفع من الخدين صح
ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فما امركم الله به فافعلوا
وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلم اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا خلاف
لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل فريق وفيه جماع كل خير وشد
ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل الصفا والتقى من اصول الدين وحقايق اليقين
والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك
وقد اجتمعت الامة المختارة بان الله واحد ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعته لم ولا كان ولا يكون
شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان
القران كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان وان احداثه وافنائه و
غيره سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بافنائه ملكه عز سلطانه وجل
سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك
ترى بركاته وتفوز مع الفائزين   اعلم ان الاسرار التي يكتمها
العلماء من العوام منها ما يقصر عن ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك
كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه

اليهم بصيرته لهم قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل
الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل و
منع من افشائه ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا لبعض الخلق
كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون
بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة
والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك
الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به
عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه
خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد
في الحديث اما يخشى الذي رفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس
حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن
اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام
فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون
الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين
التقدم فانهما متناقضان وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة

التي

التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فانه تمثيل للتاثير وقدرته فيهما
وتاثرهما بالذات عنهما بامر المطاع واجابة المطيع الطايع ومنه قوله عز وجل
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو نوع من الكلام باطنا
من دون حرف وصوت ومنه التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الجنة
والنار وعن الميزان بذي الكفتين ولسان الى غير ذلك ومنها مثل ما يدرك الانسان
الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت
العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن
وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد يحصل له نوع
علم فاذا راه بالقرب وبعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير
ضد الاول بل هو استكماله وكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل
اكثر العقايد   في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلم في قوله تعالى
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلم اذا كان
هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل
لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود
الا كعوامنا يقلدون علماءهم فاذا لم يجز لاولئك القبول من علمائهم لم يجز
لهؤلاء القبول من علمائهم فقال عليه السلم بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام

[illegible]

اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة فاما من حيث استووا

فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم واما من حيث افترقوا

فلا قال بيّن لي يا بن رسول الله قال عليه السلم ان عوام اليهود كانوا

قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام

عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد

الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا

عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم

وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل

ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط

بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه

لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لا

يشاهدونه ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلى الله عليه وآله

اذ كانت دلائله اوضح من ان يخفى واشهر من ان لا يظهر لهم وكذلك عوام

امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب

على حطام الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح

امره مستحقاً بالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان

للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل هولاء الفقهاء

فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم واما من

كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا

لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة

لا جميعهم فان من ركب القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة

فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

في معرفة النفس و

نعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني

في حاجاته مسخراً له تسخير المولى لخدمه وهو ذات الانسان و

حقيقته العالمة بالمعلومات وله في هذا البدن جنود جسمانية

هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم

افلا تبصرون وقال نبينا صلى الله عليه من عرف نفسه فقد عرف

ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه ويسمى هذا الجوهر الملكوتي

بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل

لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ

الاربعة في معان اخر تعرف بالقراين ثم النفس توصف باوصاف

مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي

وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة

قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة
عليهما سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة
مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت
واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء
قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلم وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي   اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان
للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته
في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد
حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به
وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه
ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان
بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب و
الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت
مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون
الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه   ثم اعلم ان الانسان
قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع
من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث

سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس
بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من
الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى
قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء
والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة
العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم و
المعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل
والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية
وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز
في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع و
يظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب
من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك
مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم
فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته
بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور
ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة

[illegible]
260

ضري الشيء ضراوة
منه ما بتعب اعتاده
واجترى عليه

والعدوان والبهر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه
فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء
والشيطان لايزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن
لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد
الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق
الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة
الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت
سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا
يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر لتشبع الخنزير وترضي الكلب فيكون دائما
في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج
ومنافسة الاعداء اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع
والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب
صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة
الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء

والجربزة والتلبيس والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع
تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية
العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على
ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته والاستغناء عن عبادة الشهوة
والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى
والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل
فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم
والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة
والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه و
هذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها
تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف
فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله
عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله
عليه وآله وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب
هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار

المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم
عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى
وهو الطبع والرين قال الله تعالى كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
وقال الله تعالى أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال
واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت
الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع
سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر
في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ
الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به
القرآن والسنة قال امير المومنين عليه السلم ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا
عمل العبد الصالحات نمى وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة
سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه
فذلك الختم وتلى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عليه السلم
ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه
نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب

مفتوح

مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو قلب المومن
وقال عليه السلم ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه ايمان
ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال ثم تكون النكتة
من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان   ان القلب مثاله مثال قبة
لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثال هدف تنصب اليه السهام
من الجوانب او مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيترائى
فيها صورة او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه
ومداخل هذه الآثار المتجددة فيه في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما
من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان
فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة المزاج ولا ما يبقى وينتقل الخيال من
شئ الى شئ وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب دائما
في التغير والتاثر من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر واعني
بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر
والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور
المنوى بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك
النية والعزم والنية والعزم تحركان الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى

يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في
الاخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى
وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي الى الشر يسمى شيطانا
واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول
وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة
الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق
شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب
بينهما قال النبي صلى الله عليه وآله في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير و
تصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد
بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان
ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء كني به عن سرعة التقلب والقدرة
على التحريك والتغيير باستسخار الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في
تقلب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقلب الاجسام مثلا والقلب باصل
الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين قبولا متساويا وانما
يترجح احدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ومخالفتهما
فما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس

وهما

وهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك و
الهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى
ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني
اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون   اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان بلمة
الملك فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم
بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا
على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك
وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة
وتتعرض لسخط وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط
المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ
الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير و
يقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق
فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه
والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح
الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك
بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله

صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر   قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة
الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم والتصديق الحاصلين
من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلين من جانب الشمال
وثانيها كالنظر الى آيات الآفاق والانفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك
والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن
من النفس ويقابله النظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشية
منها الشبهة والوسواس في الواهمة والمتخيلة التي هي على الجانب الايسر منها
فان الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها
مبادي العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس
الوهمانية لانها مبادي المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار
والائمة الاطهار وفي مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من الكفار
فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك سبيل
الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات
التي هي في الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته
ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدي الله
وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل العلوم

والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتامل في الامور
الدنياوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة الروحانية
وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي والثاني يشبه
الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السموات المحبوسة في
الظلمات المحروسة في الدنيا عن الارتقاء والمحجوبة في الآخرة عن دار النعيم
اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة فلا مؤاخذة عليه لانه لا يدخل تحت
الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار
واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل هذا فمردد بين ان يكون
اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ
والاضطراري لا يؤاخذ به واما الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل
فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة
وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة
عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في
مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان موافقة
الطبع فكتبت له حسنة لانه يرجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل
وان تعوق الفعل لعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة
فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي

صلى الله عليه وآله قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة
وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوه عليه بمثلها وان تركها
فاكتبوه له حسنة انما تركها لاجلي وعن امير المومنين عليه السلم في قوله
سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه
الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها
رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله
عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها
وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق
علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما
لا يدخل تحت الوسع لا يواخذ به وعن النبي صلى الله عليه وآله وضع عن
امتي تسع خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما
اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في
الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وعن الباقر عليه السلم ان الله تعالى
جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة
وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن
عمل بها كتبت له سيئة وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من
غدوة الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه وسئل الصادق عليه السلم

عن رجل

عن رجل يجي منه الشي على حد الغضب يواخذه الله تعالى به فقال الله اكرم
من ان يستغلق على عبده وعنه عليه السلم ما من مومن الا وله ذنب
يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب
فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلم ان الله ايد المومن بروح منه تحضره
في كل وقت يحسن فيه ويتقي وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي
فهي معه تهتز سرورا عند احسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته فتعاهدوا
عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا
رحم الله امرءا هم بخير فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نويد الروح بالطاعة
لله والعمل له **المقالة الثانية** في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة
ابواب **الباب الاول** في معنى الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة
عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا
وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة
سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر عنه بذل المال
مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه
ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف بذل
المال لا يقال خلقه السخا وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا
يبذل اما لفقد المال او لمانع آخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل

الخلق لباعث او لرياء فلابد في الحسن من قوة العلم وقوة الغضب و
قوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها
وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب
في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال
فاذا انحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق
الحسنة وَمَن يُؤتَى الحِكمَةَ فَقَد اُوتِيَ خَيراً كَثيراً واما قوة الغضب والشهوة
فحسنهما في ان تقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين
واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع
فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ
الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة ومثال الغضب
مثال الكلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله
وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال
الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة
جموحا فمن استقرت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا
ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك
المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة
وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب

عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف
سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها
وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو العدل
والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة
ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال
في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها اربعة
الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة
الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وَاِنَّكَ
لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي ان
يقتدى به فانه بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القرآن الى هذه
الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى اِنَّمَا المُؤمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَم يَرتَابُوا وَجَاهَدُوا بِاَموالِهِم وَاَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ اُولئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو
ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط
قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب
على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اَشِدَّاءُ

على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا
وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال **فصل** اعلم
ان من بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة
والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان
يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها
وان الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما ان الخلق هو
صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة
لا يقدر على تغيرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان حسن الخلق انما يحصل
بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال
به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى
الحظوظ العاجلة وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا يقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حسنوا
اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل من الصيد الى التادب
والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير
للاخلاق والقول الكاشف للغطاء من ذلك ان نقول الموجودات

استثقل

منقسمة

منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء
والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل
وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة
الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة
ليست بتفاح ولا نخل الا انما خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف
اليه التربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال
دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية
حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما
بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب
نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك دون القمع بالكلية
وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع
شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل
ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما
بقي اصل الشهوة يبقى لا محالة حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل
ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب
ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب
في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا

وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولو بطل الغضب
لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء
عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله عليه واله انما انا بشر اغضب كما
يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن
لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ
ولم يقل والفاقدين الغيظ وربما يستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى
عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى الاعتدال
ممكن والتجربة تدل على ذلك والمشاهدة دلالة لا شك فيها **فصل** قد يكون اعتدال
القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان وينشا كامل العقل حسن الخلق وكف سلطان
الشهوة والغضب على عقله كالانبياء والائمة عليهم السلم وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة
والرياضة بحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل
لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال ولا يزال
يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه
فيصير بنفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب
على افعال المتواضعين مدة مديدة فهو فيها مجاهد نفسه ويتكلف الى ان
يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق
وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال

دون الذي

دون الذي يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن
يترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم
يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق
معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها
كما قال رسول الله صلى الله عليه واله جعلت قرة عيني في الصلوة
ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال
فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة
خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله
تعالى وَاِنَّها لَكَبِيرَةٌ اِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ وقال النبي صلى الله عليه واله اعبد الله
في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة
الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان
دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان
العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه
واله عن السعادة قال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان
الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات
تاثيرها في القلب وانما تتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه

الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا شيء
احب اليه من الله سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على
الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه
يرتفع منه اثر الى القلب وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا
يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى
قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا وصغار المعاصي
يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة
فلا ينبغي ان يتهاون بقليل الطاعة ولا بصغر المعصية فان الجملة الكثيرة منها
موثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير وربما تحصل الاخلاق
الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير والاخلاق
السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء فان
الطبع يسترق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث
حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضل ومن كان رذلا
بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها
فهو في غاية البعد من الله وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل
درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه
فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
لكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه
ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد الله ان يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا
صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما
يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه او
يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي
المساوي كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي
المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه
بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول
على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم او يخالط الناس
فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه محمودا
يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن مرآة المومن فيرى في عيوب
غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف
به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه
فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره لاستغنوا عن المودب قيل لعيسى

على نبينا وعليه السلم من ادبك فقال انما ادبني احد رابت جميل الحامل

فيما يودي الى مساوي الاخلاق من البطن و

الفرج واللسان اعلم ان الاخلاق انما يترسخ في النفس بتكرر الاعمال والاعمال

انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لان يصدر منه الاعمال

الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق

السية فلابد من مراعاة القلب والجوارح بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من المزود

واعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان وفي الحديث النبوي

من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب

الفرج واللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى

دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها

فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء

والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة

المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع

في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات

وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الريا وغائلة التفاخر

والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضا ثم يفضي

ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة

وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به

مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان و

لم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب

كل هذا التكالب على الدنيا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ملا ابن آدم

وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا

لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وآله

لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا

كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وآله افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا

وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال الصادق عليه السلم

ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض

ما يكون العبد الى الله اذا امتلا بطنه وفي مصباح الشريعة قال الصادق

عليه السلم ما من شي اضر لقلب المومن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين

قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمومن وغذاء للروح وطعام

للقلب وصحة للبدن وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة

وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وبالجملة فوايد الجوع كثيرة

منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن

المعصية والغفلة وذكر جوع يوم القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية

وما يتولد

بالشبع وذم النوم الذي يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت القيام والتهجد ويسر
المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد
للاكل وذم الامراض الشاغلة عنها فودة المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء
قد علمت ان المقصد الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط وما
ذكر في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من
اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد
جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة
ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط
لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون
الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ النبي
صلى الله عليه وآله في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال
بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم
ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة
ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل
بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل
القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه
اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع والسر

الاشارة

الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما
حتى تشتهيه ويرفع يده عنه وهو تشتهيه   واما شهوة الفرج
فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك اللذة
فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان الم النار اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب تسوق الخلق
الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة بهذه فايدتها
ولكن فيها من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى
حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى تصرف
همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة
او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن
غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشا من استيلاء الشهوة
فيستسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون
خادما للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب
الاحتراز من اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه
وتفريط هذه الشهوة اما بالعنة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن
امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة
للعقل والشرع في انبساطها وانضباطها ومهما افرطت فكسرها يكون

الدين بدر

بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وآله معاشر الشباب
عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند
الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى عنه ويخشى من اقتحامه
وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او خوف او حياء او محافظة
على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس
على حظ اخر نعم من العصمة ان لا تقدر ففي هذه العوايق فايدة وهو
دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه
وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة
عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه
درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عشق فعف
وكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعدّ منهم
رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب
العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى
الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه
الشهوة العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم وقال النبي صلى الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس

من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء

فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال
اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء
واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه
الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة
اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما
بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير
الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى
غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان
رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب
وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك
به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى
البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم كما ورد في الحديث
النبوي ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع
في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد
اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل

عير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه
ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوايله
والحذر من مصايده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء
الانسان ولذلك قال النبي صلى الله عليه من صمت نجى وقال الصمت
حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وقال صلى الله عليه وآله امسك لسانك
فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان
حتى يخزن لسانه وقال صلى الله عليه وآله من راى موضع كلامه من عمله
قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المومنين عليه السلم برجل يتكلم بفضول
الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك
فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد عليه السلم قال ان لسان
ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون
بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب
ونعاقب بك وعن الباقر عليه السلم ان شيعتنا الخرس وعن الصادق عليه
السلم النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل و
قال في حكمة آل داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه
حافظا للسانه وقال عليه السلم قال لقمن لابنه يا بني ان كنت زعمت ان
الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق

عليه السلم الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل
وقال امير المومنين علي ابن ابي طالب عليه السلم المرء مخبوء تحت لسانه فزن
كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان
كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة
وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه
ونشر آلائه ونعمائه في عبادة الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه و
بين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه
غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم فثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف
العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله و
اشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وسئل ابو عبد الله عليه السلم من
الكلام والسكوت ايهما افضل فقال عليه السلم لكل واحد منهما آفات فاذا
سلما من الآفات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذلك يا ابن رسول
الله صلى الله عليه وآله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت
انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله
بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله بالسكوت
انما ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل
السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت

اعلم ان آفات اللسان كثيرة منها الخطا والكذب والغيبة والنميمة و
فيهما وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية
النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان و
وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك
وهي سباقة الى اللسان لاتثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث
من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان
فيطلقه بما يجب ويكفه عما لايجب فان ذلك من غوامض العلم و
في الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من
جمع الهم ودوام الوقار والفراغ في الفكر والذكر والعبادة والسلامة
من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى لا خير في
كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
النبي صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل
من ماله انما قد منا الكذب والغيبة بغير المأذون لان الكذب
والغيبة ما يجوز قال الصادق عليه السلم كل كذب مسؤل عنه صاحبه الا في
ثلثة رجل كايد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين
ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ورجل وعد اهله شيأ وهو
لايريد ان يتم لهم وكذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وورد ان في المعاريض

لمندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية وذلك اذا اضطر اليها
وقال النبي صلى الله عليه وآله من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة
له وقال ليس لفاسق غيبة وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال
لصاحب الحق مقال وقد ورد من الحديث في وجوب غيبة اهل البدع
والريب ليحذرهم الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله اترعوون
عن ذكر الفاجر حتى لايعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وفي معنى
الغيبة خفاء لابد ان يكشف الغطاء عنه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك
بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته
فان لم يكن فيه فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم صفة
الغيبة ان يذكر احد بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه واما
الخوض في ذكر غايب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة
وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خالياً منه وتكون
مبيناً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقايل
بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور
بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صواباً اقول ويخصص هذا
الحديث بما اذا لم يكن صاحبه عالماً بقبحه ساتراً على نفسه كارهاً لظهوره ويدل

خاف ذلك لما روى عنه عليه السلم ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في
دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد و
عن الكاظم عليه السلم قال من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا تعرفه الناس
اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته وعن الصادق عليه السلم قال الغيبة
ان تقول في اخيك ما ستر الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا
وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة الحكم فيه
لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط بالمؤمنين وبالاخ والمراد اخوة الايمان
فلا يتناول من لا يعتقد الحق وعن الصادق عليه السلم ان اصل الغيبة يتنوع
بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء
ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال وان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل
منه وان لم يبلغه فاستغفر الله وساير آفات اللسان مستغن عن البيان

في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله
الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان
الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية الجاهلية
والكبر الدفين من قلوب الجبابرين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث قال
خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شان الطين السكون والوقار ومن شان
النار التلظي والاستعار والحركة والاضطهاد ومن نتايج هذا الغضب الحقد و

الحسد

الحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت
صلح لها ساير الجسد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الخل العسل وقال من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر عليه السلم
ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وان احدكم
اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف
احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند
ذلك قال وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فان الرحم
اذا مست سكنت قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل
يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله
عورته وقال ان في التورية مكتوبا يا ابن آدم اذكرني في الغضب اذكرك في
غضبي وقال الصادق عليه السلم الغضب مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم
عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر
الغضب على من فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم
من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان
على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب
الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات التي
لاجلها قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة

وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في هذه القوة على درجات
ثلث في اول الفطرة والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه
القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له
وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء
وصغر النفس والخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد وصف الله
خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وقال تعالى للنبي يا ايها النبي
جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وانما الشدة والغلظة من اثار
قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة
العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معهما بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار
وسبب غلبته قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان يخالط قوما يستحسنون
تشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم
انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره
في معرض الفخر بجهله فمن يسمعه يترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم
فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان
الغضب ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف
وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر
الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى

من التفريط

الغضبان

الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته
وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت
صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا هذا اثره في الجسد واما
اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحيي منه ذووا
العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند
التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته لسبب وعجز عن التشفي
رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله
السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة
الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة
على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة
والجماد ويخاطبهما ويقول الى متى منك كذا كانه يخاطب عاقلا واما اثره
في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن و
العزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة
الغضب المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف
على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد
من السيف فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ان ينبغي ان يأتي بالشر كله
ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض علم
ان الانسان ما دام يحب ما يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه ويتأذى
منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب لجبلة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوبه
او قصد بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص وانما
المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله
من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقايق الامور وسلمت له هذه الثلثة
وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب في غيرها اعني يقدر على
ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع و
يستحسنه العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة
حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب
وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا
يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه
ولكن ذلك شديد جدا ان قيل انما الواجب التالم بفوات المحتاج اليه
دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد

وان كان

٤٤

~~وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورته فلا يغضب على احد~~
وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان
يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه
التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه
من ٢ اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب فمن وقع عليه ملك
بضرب رقبته لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له
الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا
يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخير فيه فنقول ان
على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق
الخاطف لا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع
عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وآله وعن
امير المؤمنين عليه السلام لكان النبي صلى الله عليه وآله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه
الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان
كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من
ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضبه لله فلا يمكن
الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا

بفرودي اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان
اشتغل القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كان سلمان رضي الله
عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني
ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم فاذا يتصور
فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد وسبب ثالث وهو
ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فتطفي شدة حبه لله غيظه وذلك عن حال
في احوال نادرة   قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها
والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر والهزل والهزء والذل والتعيير
والممارات والمضادات والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي
باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه
الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع والعجب
بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انه من الرذايل وانما الفخر بالفضايل واما الهزل
فتزيله بالجد في طلب الفضايل والاخلاق الحسنة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء
الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزء بك واما التعيير فبالحذر عن قول
القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش
فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة
وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها

الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها
لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها
مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن
النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت من الغضب الذي
يتولد منها وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان
كان قايما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل بالماء البارد
فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد
في فضايل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال الكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم وقال النبي صلى الله عليه واله ما جرع عبد
جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال الباقر عليه السلم
من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا وقال
الصادق عليه السلم ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله عزا في الدنيا والاخرة
وقال عليه السلم كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وان يخوف نفسه
بعقاب الله احوج ما يكون الى العفو وان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام

ويثير العدو لمقابلته وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يذكر صورة غيره في حالة الغضب وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده وعن النبي صلى الله عليه وآله الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء وشرهم السريع الغضب بطيء الفيء اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغض له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن ليس بحقود وللحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحمله على ان يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان يزيد على اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان يهجره ويقطع عنه وان طلبه المحقود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها ان يمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز من هذه الآفات ولكن يشتغل بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه

الفيء الرجوع

الحقد

حتى تمنع

حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او يترك الدعاء له والثناء عليه والتحريص على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين فضل عظيم والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلى الله عليه وآله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبي صلى الله عليه وآله الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وقال عليه السلام ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وقال عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال الصادق عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم عليه السلام الرفق نصف العيش واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد من نتائج الغضب ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر
عما في قلوبهم وما ادّاهم اليه من الرضا بقتله ثم ما اصابهم من ذلك
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله لموسى بن عمران يا ابن عمران
لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه
نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي
ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا
على قضاء الحوائج بالكتمان في رواية فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله ثلث لا ينجو منهن احد وقل من يسلم منهن الظن والطيرة والحسد
ساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ
وقال الصادق عليه السلم آفة الدين الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلم الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده
لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن
محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل
ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما
يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود فضل الله
وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك
مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع

مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان
عولج معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها عنه فان
لم يحب زوالها منه ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها يسمى غبطة
وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كانت
في الدنيا فمباح وان كانت في الدين فمندوب لما قال النبي صلى الله عليه وآله
المومن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه
على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس سمي الغبطة حسدا
وهذا كما يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافر او فاجر وهو يستعين بها
على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضر كراهتها وحب
زوالها منه من انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد سبعة
العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة
وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له
الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال
كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد من التعزز واما ان يكون في طبعه ان
يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون
النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد
بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته

اذ مكان بين به ... لها عو ... ادا من
... ان بين ... ادا عد ... ادا

فى اغراضه واما ان يكون بحب الرياسة التى تبتنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى
فيها واما ان لا يكون بسبب من الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
وان كانت النعمة لا تنتقل اليه وقد يجتمع هذه الاسباب واكثرها فى شخص واحد
فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة فيهتك
حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة هذه الاسباب انما تكثر
بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه فى غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه
وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته
لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التى توصله الى اغراضه واذ لا رابطة بين شخصين
فى بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا فى مسكن او سوق
او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فتثور من التناقض
التنافر والتباغض ومنه تثور بقية الاسباب فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون
العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون غيره الا بسبب
اخر سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب
والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما يحسد ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم
على المقاصد نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت فى جميع اطراف العالم بما هو
فيه فانه يحسد كل من هو فى العالم ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها

ومنشا

ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين
اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم الاخرة فلا جرم
من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملايكته وانبيائه وملكوت ارضه
وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين
بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا تنقص لذة
واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة
والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة عند الله
ايضا لا ضيق فيه لان اجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها
ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال
والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت فى يد واحد خلت
عنها يد اخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم
انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة
اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم
النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وانه
لا ضرر به على المحسود فى الدين ولا فى الدنيا بل ينتفع بها فيهما ومهما عرفت هذا
عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما
كونه ضررا عليك فى الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى

قسمها العباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت
ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان
وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا
من المومنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير
لعباد الله وشاركت ابليس وساير الكفار في حبهم للمومنين البلايا وزوال
النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها
كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك
وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداوك لا يخليهم الله من نعم يفيضها عليهم
فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما
متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداوك لك فقد
كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة على المحسود
بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم تبق لله عليك نعمة ولا على الخلق نعمة
لا الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال الله تعالى ودت
طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما
قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة
في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد
لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة واما ان المحسود

ينتفع

ينتفع في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من
جهتك لا سيما اذا اخرجت الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه
وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه بانتقال حسناتك
الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة
فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما
منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم
وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد
قد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فالحاسد ينبغي ان يحكم الحسد فكلما تقاضاه
من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضهما فان بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه
التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه
الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه
واحبه ومهما احبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة
الحسد ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخر والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد
من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني كما ياتي بيانه
في الرياء والكبر والعجب اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله
قال الله تعالى ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون

انتقاد وشقاوه بعض السعاده حق

الماعون وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال
كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا
اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وآله ان ادنى الرياء شرك
وقال سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا
لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله
بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال صلى الله عليه وآله ان الملك
ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله اجعلوها في سجين
انه ليس اياي اراد به وقال امير المومنين عليه السلم اخشوا الله خشية ليست
بتعذير واعملوا في غير رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال
عليه السلم ثلث علامات للمرائي ينشط اذا راى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب
ان يحمد في كل اموره وعن الباقر عليه السلم الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما
الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت
له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق
عليه السلم قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما
كان لي خالصا وقال كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس و
من عمل لله كان ثوابه على الله وقال عليه السلم في قول الله عز وجل فمن كان يرجو

لقاء ربه

لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا
من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع
به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت
الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله
له شرا وقال عليه السلم ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه
فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة
اذا صحت قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما
اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان
يقلله في عين من سمعه ولا باس بالسرور اذا كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص
لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله فيستدل به
على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه
المعصية ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة
في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل
باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة
فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات الى المستقبل وكذا اذا ظن
رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له
اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله

اجر من اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وكذا اذا فرح
بطاعتهم لله في مدحتهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة وروي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اسر العمل لا احب ان يطلع
عليه احد فيطلع عليه ويسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن
الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره
ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير
اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لان يعتقد فيه
الورع بل للتحامي عن الهتك ولان الستر مامور به ويعرف بكراهة ظهورها
عن حد الغير او لانه يتالم بالذم فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس شهداء
كما ورد او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسويته ذمه وذم غيره او الخوف
ان يقصد بسوء او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان
او لان يقتدي به الغير او حب محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه
جعله محبوبا في قلوب الناس اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشاء من
حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس فمهما عرف
العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من
التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي
ونائل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة ومما يحبط

عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد ربما كان
يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فيرجح
به ويهوي الى النار وهذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة
قلوب الخلق فان رضاء الناس غاية لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط
فريق ورضاء بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله
عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم
ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة
واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء
وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل
والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا قرر في قلبه هذه
الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه ويكفيه ان الناس لو علموا
ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره
حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم
له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان
في ذمهم ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما
تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته
ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك ان شق في بداية المجاهدة

لكن اذا صبر عليه مدة بالتكليف سقط عنه ثقله وهان عليه بتوسل الطاف الله
وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين
وفى مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم اكثر ما يقع الرياء فى النظر والا كل
والكلام والمشى والمجالسة واللباس والضحك والصلوة والحج والجهاد و
قراءة القرآن وساير العبادات الظاهرة ومن اخلص لله باطنه وخشع له بقلبه
وراى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن رجى
له الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام على ذلك فى كل حال واما
الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا اذ يجب على المومن صيانة
عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق بذوى المروات ان يرتكبوا الامور
الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم فى الخلوة الا ان ذلك
يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة
ذلك فعن الصادق عليه السلم انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى
لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال عليه السلم اشتريته
لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشترى لعيالى الشى
ثم احمله اليهم اراد عليه السلم لولا مخافة ان يعيبونى على ذلك مع ان جدى امير
المومنين عليه السلم كان يفعل مثله الا انه لما كان فى زمان لا يعاب عليه بمثله

جاز له ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وآله اراد يوما ان يخرج الى الصحابة فكان ينظر الى حب من الماء ويسوى
عمامته وشعره فقيل له اوتفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب
من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المومنين عليه السلم ليتزين
احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب ان يراه فى احسن الهيئة وقال
الصادق عليه السلم الثوب النقى يكبت العدو وكل ذلك رياء محبوب
واما الكبر فانه من نتايج العجب والتكبر ينشا من الحقد والحسد او
الرياء وقد ذم الله التكبر فى مواضع من كتابه قال الله تعالى ساصرف عن آياتى
الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر وقال من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو
عليه غضبان وقال الباقر عليه السلم الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه
وقال الصادق عليه السلم الكبر ان تغمض الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلم فى
رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير الناس
والتجبر عليهم وقال عليه السلم ما من احد يتكبر او يتجبر الا لذلة وجدها فى نفسه
وقال ان فى جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله شدة حره و
ساله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون

فى صور الذين يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال عليه السلم
ان فى السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه
وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تواضع احد لله الا رفعه الله وعنه صلى الله عليه
وآله انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشى فى يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن
نفسه وعنه صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه ما لى لا ارى عليكم حلاوة العبادة
قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وعنه صلى الله عليه وآله قال اذا رايتم
المتواضعين من امتى فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان
ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلم انه مر على المجذومين وهو راكب حماره
وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما انى لولا انى صايم لفعلت فلما صار الى
منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى
معهم وعن الكاظم عليه السلم قال التواضع ان تعطى الناس ما تحب ان تعطاه وفى
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة
رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقايق ما فى مخفيات العواقب
والتواضع ما يكون لله وفى الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير
من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض
من العارفين قال الله تعالى وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع
من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها

الا وبابها

الا وبابها التواضع ولا يعرف ما فى حقيقة التواضع الا المقربون من عباده
المتصلين بوحدانيته قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل
خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال عز وجل
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع
والخشية والحياء وانهن لا ياتين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقى الا
للمتواضع فى ذات الله

التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود و
فرعون وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا وقد يكون على ساير الناس بان يستعظم نفسه ويستصغر غيره
فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بجحده
كما يكون لاكثر الناظرين فى العلوم للغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد
يكون بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة وكثرة
الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون اشتغاله بما
يسمى علما وليس بعلم حقيقى والثانى ان يخوض فى العلم وهو خبيث النفس ردى
الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض نفسه فى عبادة
ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض فى العلم اى علم كان صادف العلم من قلبه
منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير اثره وعلاجه ان يعلم ان الكبر

لا يليق الا بالله عزوجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا
وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه و
ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشرة
من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة
الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوتى بالعالم يوم
القيمة فيلقى في النار فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف
به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر و
آتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى
بن مريم ويل للعلماء السوء كيف تتلظى عليهم النار وقال الصادق عليه السلم يغفر
للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم
ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما ان
العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه
ان الحسنات يذهبن السيئات وامر غير العالم في حجة مستور وانما المدار على الخاتمة
فعليه ان راى من هو شر منه ان يقول لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يراه الا آمنا
خائفا من العاقبة ويقول لعل بهذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل بينه
خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال
ويوى ظاهر فذلك شر لي لا آمن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات

فاحيطها

فاحيطها وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء
الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى
كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يوتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة اي يوتون بالطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتريه
الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث
تعززه بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت
ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته
فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له
ان يقول الفضل لي ومن انت انما انت دودة خلقت من فضلتي والثاني
ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة
وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شي
خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضائح
ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه
والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه
والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط
كل يوم دفعة او دفعتين بيده يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج

من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول
امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض خرج من مجرى
البول الى الرحم فيغتذي دم الحيض ثم مجرى القذر ولو ترك نفسه في حياته
يوما لم يتعهده بالتنظف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وموته
فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان
يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه
لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم
يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان
شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة ثم
ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة
تسبقه البهايم واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى
خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان
لشرف يسبقه اليهود وان الشرف باخذه السارق والمتكبر يمكن السلطان
بناء امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق
وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل اعلم انه لا يتم الشفاء
من الكبر الا باستيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب وذلك
بان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة

ليعلم انه

ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة
والمهانة ويكفيه اية واحدة من كتاب الله عز وجل ان فتح بصيرته قال الله
تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره نعم او اكمله وفوض اليه
امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه
سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات
المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض
من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض
كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم
الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي فينساه ويريد ان ينسى الشي فيغفل عنه
فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والاجلاء
بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشي وربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشي ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه
ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره
ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاوه ويختلس عقله
ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك
ما بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه ولا من غيره

فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط
احواله فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته
وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميماً رفاتاً ثم تصير دوداً في اجواف
الديدان يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود
الى ما كان فيصير تراباً يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان فاحسنه لو ترك
تراباً بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع
اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة
مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال
مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى
صحايف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير وهو
معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فمن هذا حاله فالتكبر لا يليق به
وللفرح في لحظة فضلاً عن البطر والتجبر واما العلاج العملي فهو التواضع
بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد ورد
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد
آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس جيداً فقال انما انا عبد فاذا اعتقت
يوماً لبست اشار به الى العتق في الآخرة وللمتواضع امتحانات يعرف بها

تواضعه

تواضعه فلابد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع فانه قد
يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت النفس
الى طبعها ونسيت وعدها ثم المحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير
تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى الله اوسطها
وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل   واما العجب فهو استعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خائفاً على زوالها
مشفقاً على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله من دون اضافتها
الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله
حقاً وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه سمي ادلالاً بالعمل
فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمن
عليه فيكون معجباً فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه
عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه قال الله تعالى في معرض الانكار ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم
الله من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً وهذا ايضاً
يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب
فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً وقال النبي صلى الله عليه
وآله ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله

عليه وآله اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي
برايه فعليك بخاصة نفسك وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال الصادق عليه السلم ان الله تعالى
علم ان الذنب خير للمومن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مومنا بذنب ابدا و
قال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن
حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلم قال اتى
عالم عابدا فقال له كيف صلوتك فقال مثلي يسال عن صلوته وانا اعبد الله
منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال العالم ان ضحكك
وانت خايف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء
وعن الباقر عليه السلم قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا
من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه دخل العابد المسجد مدلا
بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في التندم على
فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي صلى الله عليه وآله قال
موسى لابليس اخبرني عن الذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه قال
اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال الله تعالى لداود
يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال داود كيف ابشر المذنبين وانذر
الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم

عليه السلم انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان
يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها
ان يومن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلم العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم
له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي
من غير حق كاذب وان خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب
نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد
كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي
واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن
اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولابد من ان يثمر اعلم ان
افات العجب كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما اشرنا اليه
ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها
فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها
ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين
منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لم يتفقد افات الاعمال كان اكثر
سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب
قلما تنفع وانما يتفقد افات الاعمال من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب .

والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله
بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية
من عطاياه ويحوجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب
برايه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال
فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب
بالراي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره
فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين
الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن و
استعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة
لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب ولذلك كان
من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى
وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه   اعلم ان الانسان قد يعجب
بالاسباب التي بها يتكبر وعلاجه فيما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي
الخطا الذي يزين بجهله وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك
يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذا افترقت فرقا وكل معجب
برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بارائهم وهو ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه

حقا

حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل
بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر
على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه
لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها
نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه
في الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا تغره الا ان يشهد له قاطع من كتاب
الله او سنة نبيه او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان
ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت
وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم
طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض
الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في
المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك
له وانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به
ويتبع ائمة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم ويؤمن
بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى
واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وساير الاعمال المرضية
ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه

المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلتعرض العجب بفعل داخل تحت
اختيار العبد كالعبادات فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال و
القوة والنسب ومما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يكون يعجب به
من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وقدرته
وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه من جهة
غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني فينبغي
ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها
من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له
ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله
اذا افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فان
قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فسيقول هو فيقال
فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق
من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذا انعم بوجودك
وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب
العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان
كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا

من فضله وجوده فانه هو الذي خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها
القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت
ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك
مستبدا باختراعه من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه
خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة
ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب
الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي يخيل اليك
انك اوجدت عملك وقد غلطت فان تحريك البواعث وصرف العوائق
وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب
بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره
اياك على الفساق من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها
عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك
الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك
ولا جريمة سابقة منهم روي ان ايوب على نبينا وعليه السلام قال الهي انك
ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي
من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا
فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى

ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
وقال النبي صلى الله عليه وآله ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذا هذا هو العلاج
القاطع لمادة العجب ومما غلب ذلك على القلب شغله خوف سبب عجابه

بها في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها خمسة ابواب

في معرفة الدنيا والآخرة فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من
احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كلما قبل الموت والمتراخي المتأخر
يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة
ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل
وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا ويبقى
معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة
وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يانس بالعلم حتى يصير ذلك الذ
الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد
صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا
اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو
منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من
الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول ان من جملة العمل الصالح

الذي هو

الذي هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبي صلى الله عليه وآله العبادة
سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلى الله عليه وآله ملعون
من القى كله على الناس وقال امير المومنين عليه السلم اوحى الله عز وجل
الى داود انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا
قال فبكى داود اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود
فالان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل
ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت
المال وقال السجاد عليه السلم الدنيا دنياآن دنيا بلاغ ودنيا ملعونة
وقال الباقر عليه السلم من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا
على اهله وتعطفا على جاره لقى الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال
الصادق عليه السلم الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال عليه السلم
في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي
فياتيني قال هذا احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وقال عليه السلم ان الله يحب
الاغتراف في طلب الرزق وقال له رجل والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نوتاها
فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها
واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة
وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب

معايشكم فان اباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها وعن علي بن ابي
حمزه قال رايت ابا الحسن عليه السلم يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في
العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني
في ارضه ومن ابي فقلت ومن هو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وامير المومنين وابائي عليهم السلم كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من
عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين   اعلم انه لا يصحب
مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته من
ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب وطهارته
لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله
والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر
وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات
الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب
من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه جاءت
الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما يوصلان العبد الى
لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل
الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة
ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس

بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي
بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع امنا من
الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له
محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه
طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا
وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب
هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي تفطمه عن شهوات
الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن
وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب
فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة
لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك
على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا
ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة
ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب
ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة
ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وآله حلالها حساب وحرامها عذاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت

من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على فوتها حظوظ
حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت
الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات
مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفا
لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وينقطع الاذهان
والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره
من نعم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلم وضع راسه على حجر لما
نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان على
نبينا وعليه السلم في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ الاطعمة وهو ياكل
خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر
عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا
صلى الله عليه وآله فكان يطوى اياما ولهذا سلط الله البلاء والمحن
على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم
ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه
الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا
ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا فظهر مما ذكرنا
ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه للاخرة ويعبر عنه بالهوى

واليه

واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع
الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها
تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب وهذه
هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه
لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد والمحب المستهتر
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل و
الحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر
والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان المذكورة و
العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح
لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون
بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة اليها
واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا
وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت الاشغال واتصلت بعضها ببعض
وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها

فيما ورد في ذم الدنيا

وكل ما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا

اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما
عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها
منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها
ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله
فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع
دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون
ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
والآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف
الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود بعثة الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك
فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة
فيه ليكون انموذجا لغيره مما لا يحصى فعن الصادق عليه السلام قال خرج النبي صلى الله
عليه وآله وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه
مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص
شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا

عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من
ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام مر
رسول الله صلى الله عليه وآله بجدي اسك ملقى في مزبلة ميتا فقال
لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي والذي
نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة وفي طلب الآخرة اضرارا
بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في
يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين
عليه السلام الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته
ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وقوي وشبع وروي
ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة
فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب
شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة يشد بها
صلبه وثوب يواري عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد له
منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب
بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في

في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان

يعني ويبتم ويبكم وبذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً
وبعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف
حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة
الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من
رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته
ووفقنا واياك لمرضاته وقال امير المؤمنين عليه السلم في صفة الدنيا
ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي
حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها
فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته
وعن الباقر عليه السلم قال علي بن الحسين عليهما السلم ان الدنيا قد ارتحلت
مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء
الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين
في الاخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والماء طيبا والتراب
فراشا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه
المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل
النار في النار معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم

خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون
اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون في
فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد
براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من
مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها
وعن علي بن الحسين عليهما السلم انه سئل اي الاعمال افضل عند الله
تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة
وللمعاصي شعبا فاول ما عصى الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى
واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحوا حين
قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة
وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية
ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا
وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن
سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد
معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ و
دنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلم انه قال لجابر يا جابر من دخل قلبه

صافي خالص من الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المومنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المومنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق عليه السلام قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المومن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفى ضاقت به الارض حتى يسمو وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وعن الكاظم عليه السلام

قال

قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وعن الرضا عليه السلام قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم وعن النبي صلى الله عليه واله لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه واله الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه واله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله وقال صلى الله عليه واله يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه واله الهيكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت واكلت فافنيت ولبست فابليت وقال صلى الله عليه واله من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال صلى الله عليه واله لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك

منها وقال عيسى على نبينا وعليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت
ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن اصبح
والدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بعمله وقال لقمن لابنه يا بني
بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا
وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له الاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال
حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران
واعمر منها قلب من يطلبها ولنذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة
الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال النبي
صلى الله عليه وآله الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون
وقال النبي صلى الله عليه وآله في قلة ما بقي من الدنيا بالاضافة الى ما
سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقاً
بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلى الله عليه وآله
ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
اليه وكتب امير المؤمنين عليه السلم الى سلمان رضي الله عنه مثلها
فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك

منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها
وكن اسر ما يكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان
منها الى سرور اشخصته عنه مكروهة والسلام وكان الحسن بن علي
عليهما السلم يتمثل بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا
بظل زايل حمق وعن الباقر عليه السلم في حديث جابر فانزل الدنيا كمنزل
نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس
معك منه شيء اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب
والعلم بالله كفيء الظلال وعنه عليه السلم قال مثل الحريص على الدنيا كمثل
دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت
غما وعن الصادق عليه السلم مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان
ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا وعليه السلم كوشف بالدنيا
فرآها في صورة عجوزة شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت
قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت
فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم
واحدا واحداً ولا يكونون منك على حذر وقال عيسى عليه السلم الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان واغتراره
بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة

الشمط بياض شعر الراس كما لا اكره والمراة شمطاء صح

تهلكينهم

انهمك الرجل في الامر اي جد ولج صح

الفانية الممزوجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي
اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه
وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لايزال يقرضان ذلك الحبل شيئاً
فشيئاً ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك
الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آناً فآناً قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار
ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه
منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف
باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا
والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان هو الليل والنهار
القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات
والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا
المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية

في ذم حب المال اعلم ان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف
واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة
فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقدت حصل منه
الفقر الذي يكاد ان يكون كفراً وان وجدت حصل منه الطغيان الذي لا
يكون عاقبة امره الا خسراً وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها

الجرذ ضرب من الفار ص

اللطع اللحس ص

الطم الداهية الكبرى ص

من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات
التي لا يقوى عليها الا ذووا البصائر في الدين من العلماء الراسخين وللفاقد
حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع فيما ايدي الناس وتشمر للحرف
والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد حالتان امساك وانفاق وللمنفق
حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض
فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عز وجل لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
وقال النبي صلى الله عليه وآله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت
الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم باكثر فساداً من حب
المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله يقول ابن آدم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله قال قدم مالك امامك
فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان
يتخلف معه واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيراً في مواضع
فقال ان ترك خيراً الوصية الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم
المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق
فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه

ما لي لا احب الموت فقال
هل معك من مال قال نعم يا رسول الله

ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد
فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الابد وسد سبيل العلم
والعمل فهو اذا محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود
ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع مائلة
الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة
اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره
حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب
من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا

اعلم ان مثال المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائدها
ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها وفوائدها امكنه
ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية
ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين
اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلثة
انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة على عبادة
والثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية
العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي
غضب الرب واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف

في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه مما يكتسب به العبد الاخوان
والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف بالجود الا
من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا
يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات
واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية
العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع
السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ
الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه فهو له
صدقة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان
لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه
سبيل الآخرة بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين النوع
الثالث ما لا يصرفه الانسان الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام
كبناء المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق
وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة
بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية فهذه جملة فوائد المال في
الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال و
حقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان

والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب واما الآفات فدينية ودنيوية

اما الدينية فثلثة انواع الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات

متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر

ومهما كان الانسان آيسًا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته اليها

فاذا استشعر القدرة عليها انبعث الداعية والمال نوع من القدرة

يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك

وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم

من فتنة الضراء الثاني ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات

فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن

ويترك لذايذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلم في ملكه

فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن نفسه عليه فيصير التنعم مالوفا عنده

ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به

ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض

في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديه لينتظم له

امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس

ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم

فان سلم من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا.

ومن حاجة

ومن الحاجة الى الخلق يثور العداوة والصداقة وينبعث منه الحسد و

الحقد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص

القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم

من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك

عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله

فهو خسران ولذلك قال عيسى على نبينا وعليه السلم في المال ثلث ان ياخذه

من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه

في حقه قال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل

العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا

فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته

وخيانته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان

السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة

يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه

المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها

من كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف

اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس

عنه اودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه وسنته

الشوم نقيض اليمن ص

الحل بالكسر الحلال ص

في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه
ارباب الاموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ
الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات
وما عداه سموم وافات   اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان
يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم
ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الكفاف ويقصر الامل فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة
وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وقلة القناعة وجره الحرص و
الطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات و
قد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله
عليه وآله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما
ثالثاً ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب و
قال صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم
المال وقال صلى الله عليه وآله تشيب ابن ادم وتشب فيه خصلتان
الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة
مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال صلى الله عليه وآله طوبى
لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به وقال ما من احد غني

ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتاً في الدنيا وقال يا معشر الفقراء
اعطوا الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقال ليس الغنى عن
كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال ان روح القدس نفث في روعي
ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال امير
المؤمنين عليه السلم ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما
فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال
الباقر عليه السلم اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه
ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً
منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله
فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده وقال الصادق
عليه السلم ان الله يقول يحزن عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني
وقال عليه السلم كلما ازداد العبد ايماناً ازداد ضيقاً في معيشته وقال فيما ناجى
موسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين واذا
رايت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته   لا نجاة من غائلة المال
الا بالمحافظة على امور الاول ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق
وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته والثاني ان يراعي
جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات

ان قترت عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن

المكروهة القادحة في المروة والثالث ان يراعي جهة المخرج ويقصد في
الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي الحديث النبوي ما عال من اقتصد
والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم
في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء والخامس ان يصلح نيته
في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على
العبادة ويترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال
قال امير المومنين عليه السلم لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به
وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد فان قيل
ايهما افضل الغني بنية الاستعانة على العبادة ام الفقر بنية التفرغ لها
قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله عن الله
فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به وذلك لان
فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده فان تساويا
فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان
الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه
وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا حال كل
الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فليطلق

القول فان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه
بالدنيا اضعف غالبا وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب
تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان والابدان ليست مرادة
لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيره في اثارة الانس الا
في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ولهذا ورد
في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر
ان لا يملك شيئا البتة قال الصادق عليه السلم في كلام له مع الصوفية
ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صلى الله عليه واله
اوقية من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده
ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان
رحيما رفيقا صلى الله عليه واله فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا يقول ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت
جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال قال ثم من علمتم بعده
في فضله وزهده سلمان الفارسي رضي الله عنه وابو ذر رحمه الله
فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه
من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري

لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون
لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على
صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها
اطمانت واما ابو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح
منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه
خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه
بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هؤلاء
وقد قال فيهم رسول الله ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان شيئا
البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم
وعيالاتهم واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي عن ابائه ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال يوما ما عجبت من شي كعجبي من المومن انه ان قرض
جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وكلما يصنع الله به فهو خير له
قد ظهر مما ذكرناه لا خلاص من تعب الدنيا وغوايلها الا بالزهد
فيها وهو ان لا يريدها بقلبه الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام قال الله
تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال
عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي

السلت وعن ط ق

القرم بالتحريك شدة شهوة اللحم ص ق

صلى الله عليه وآله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له و
من اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه
في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا
في الدنيا فاقربوا منه فانه تلقى الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد
فيما ايدي الناس وقال من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
فليزهد في الدنيا وللزهد ثلث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة
من النار وسائر عذاب الاخرة وهذا زهد الخايفين والثانية ان يزهد رغبة
في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين والثالثة وهي العليا ان
لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد
باعتبار احكامه ينقسم الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في
الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة
من النار وهو تركك كل شي يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها ولا
اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها
بل ترى فوتها راحة وكونها افة وتكون ابدا هاربا من الافة معتصما
بالراحة والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة

يحبك الناس

تضمنه الله ... وحفظ ... [illegible]

والجوع على الشبع وعاقبة الاجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة
ويكون نفسه فى الدنيا وقلبه فى الاخرة وسئل الصادق عليه السلم
عن الزاهد فى الدنيا فقال الذى يترك حلالها مخافة حسابه ويترك
حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد فى الدنيا باضاعة المال ولا
بتحريم الحلال بل الزهد فى الدنيا ان لا يكون بما فى يدك اوثق منك
بما عند الله وقال امير المومنين عليه السلم الزهد فى الدنيا قصر الامل
وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل وقال عليه السلم الزهد
كله بين كلمتين من القرآن قال سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه
ولعمري انه تمام فى معناه اعلم ان ثمرة الزهد السخا ومن ثمرة الرغبة
فى الدنيا البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغى ان يكون حال العبد القناعة
وان كان موجودا ينبغى ان يكون حاله السخا واصطناع المعروف
فان السخا من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعن
النبى صلى الله عليه وآله حيث قال السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها
متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة
وقال قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن
يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال

اسى ... حزن ... الحزن

ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقال ان موجبات
المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا
عن ذنب السخى فان الله اخذ بيده كلما عثر اقاله وقال طعام الجواد
دواء وطعام البخيل داء وقال ان السخى قريب من الله قريب من
الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل من الله بعيد من
الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخى احب الى الله من عابد
بخيل وادوى الداء البخل وارفع درجات السخا الايثار وهو ان تجود
بالمال مع الحاجة اليه قال الله تعالى فى معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال النبى صلى الله عليه وآله ايما امرء اشتهى
شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وينبغى للفقير ان لا يمنع بذل
قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة
تبذل عن ظهر غنى قال النبى صلى الله عليه وآله درهم من الصدقة افضل
عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج
رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق بها واخرج رجل درهما من
درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل
من صاحب مائة الف واعلم ان الامساك حيث يجب البذل بخل و
البذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغى ان

خصاصة والخصاصة الفقر

يكون السخا والجود عبادة عنه اذ لم يوم رسول الله وآله الا بالسخا
وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال
تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر
بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه
طيبا به غير منازع له فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث
يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه شرعا او مروة وعادة
والمروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة ما لا
يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار
ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة
الى غير ذلك وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو
اهم من حفظ المال في مقابلة السخاء والجود   في ذم حب الجاه اعلم
ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة عظيمة وحبه مذموم
بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه
قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا وقال النبي صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في
القلب كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم

باكثر فسادا

باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال انما هلك الناس
باتباع الهوى وحب الثناء وعنه صلى الله عليه وآله حسب امرء من الشر الا من عصمه
الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه عن امير المؤمنين عليه السلم
تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ
الفجار وقال الصادق عليه السلم اياكم وهؤلاء الرؤسا الذين يترأسون فو الله
ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عليه السلم ملعون
من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي
صلى الله عليه وآله رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال
اللهم اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه صلى الله عليه و
آله ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا
لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء
مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان
المنتفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه
ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوسل باستعمال اربابها في الاغراض
والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات كذلك يكتسب
القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات
وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له

خفق النعل صوتها ضربها على الارض وخفق ...
ربع ... ابراره ... مصداق على الصدق ...

بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده ولكن بشرط
ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده
وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا
بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء و
العبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم
بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك للعبد
يملكه قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وصاحب
الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع و
الطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله
تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على ارباب القلوب
وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء
فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة
والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار و
ترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في
المحافل والتقدم في جميع المقاصد ولملك القلوب ترجيح على ملك المال
من وجوه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى

جاه

الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب
المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة
لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال
اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال
الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق
ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة
ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه
الآفات فان ذا الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم
انما تغصب القلوب وبالتضريب وتقبيح الحال وتغير الاعتقاد فيما يصدق
به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه والثالث ان ملك القلوب
يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب
اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيرهما افصحت الالسنة
لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده لغيره واستطار في الاقطار فاقتنصت
القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى
واحد ويتزايد وليس له حد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه
فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة واما حب جمع المال
وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات

وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا
انه قط لم يطاها ولا يشاهدها اصحابها ليعظموه او يعبوه على عرض
من اغراضه فله سببان احدهما جلى والاخر خفى يدق عن افهام الاذكياء
فضلا عن الاغنياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبعة
مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليه الا الغواصون اما الجلى فهو دفع
الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا
فى الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف
فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع
الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا
المال جايحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة
ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال ويستشعر
الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب
بطايفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار
مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما فى
الدنيا ولذلك ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
ومثل هذه العلة تطرد فى حب قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد
عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن

اويزعج

اويزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم
واما السبب الخفى وهو الاقوى ان الروح امر ربانى يحب الربوبية
بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والعبودية قهر على النفس ولكن
لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهى محبة للكمال
مشتهية له ملتذة بلذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته
ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال
من ذاته فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان
لا يحتاج اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق
العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة / اعلم ان الكمال
الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت
ليس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته فى ملكوت السماء والارض و
ترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعنى الخلاص من اسر الشهوات
وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم
الشهوة ولا يستهويهم الغضب واما المال فله منفعة فى الاعانة على معرفة الله
كمعرفة لغة العرب وتفسير القران والفقه والاخبار ومعرفة طريق تزكية
النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال و الذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله والى

تحصيل الحرية فما لا بد منه بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى
وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة
باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة
الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله
للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة
كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القدرة القوى الى المال والجاه للتوصل
به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول
به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي
تنقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد الموت اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب
والابدان تنقطع بالموت ومن ذلك كمالا قد جهل الخلق كلهم
في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة
وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه
والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه
ولما احبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي
يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين

اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي
تبقى كمالا للنفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله
الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا
وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا
ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت
على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا بقدر البلغة منها الى الكمال
الحقيقي   اعلم انه كما لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا
بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن
طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يبتاع به الطعام فكذلك
لا يخلو من الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع
عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى
الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به
مرافقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن
به ارشاده وتعليمه والعناية به وكذا حبه لان يكون له من المحل في قلب

سلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض
كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان يكون المال والجاه
في اعيانهما محبوبان بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره
بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة
حتى يستغني عن بيت الماء لانه لا يوصف محبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله
الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى
المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء
المحظور فاما ان يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه
حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح ايضا لان حفظ الستر على القبايح
جايز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق
العلم بالافايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي
اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب   واما حب المدح والثناء فله
اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فان النفس مهما شعرت
بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها
وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير لا يجازف في القول
ولهذه العلة يبغض الذم ويكره لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني

ان المدح

ان المدح يدل على ان قلب المادح ملك الممدوح وانه مريد له ومعتقد
فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ
وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه
كالملوك والاكابر ولهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب والسبب الثالث
ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان
ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتقد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا
والسبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق
اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة
لما فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب قد يجتمع في مدح مادح واحد فيعظم
به الالتذاذ وقد يندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق
في مدحه فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة
الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار
لسانه الى النطق بالثناء   اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار
مقصور الهم على مراعاة الخلق مشعوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم
ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك
بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك

شبه رسول الله صلى الله عليه وآله حب الشرف والمال وإفسادهما
للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل
اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة
في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو
خال عنها وذلك عين النفاق وعلاجه العلمي ان يعلم ان السبب الذي
لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان
صفى وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له
كل من على وجه الارض والى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين
له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا
انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه
في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها
ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق
ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب
كما قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الى غيرها من الآيات فمن
هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة

وهو

وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا
فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه
ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في
غليانه وهي مرددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق
يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة
القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال
عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة
للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة
فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي
ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث
العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول
من الخالق والاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل
في بيته في البلدة التي هو مشهور بها لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له
في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور
وانما سكنت لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا
فيه وذموه او نسبوه الى امر لا يليق به جزعت نفسه وتألمت
وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم

ربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي به ومن

يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب

الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة ومن قنع

استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام

منزلته بالقلوب عنده وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة

في ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة

الى غير ذلك وحب المدح كحب الجاه حرمة واباحة ونفعا وضرا وعلاجه

علاج حب الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح بها ان فقدت فاستهزاء وان

وجدت فالدنيوية كال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة وعلاج كراهة

الذم العلم بان الصفة المذموم بها ان وجدت فتبصير للعيوب وفيه

الفرح والشغل بالازالة وان فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله تعالى

والترحم عليه حيث اهلك نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اهد

قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا رباعيته والانسان يفرح من عدوه

وهو شخص عدوه نفسه فينبغي ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها

ويعتقد فطنته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من

نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلي

بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعسى ان يكون جبرا لعيوبه

التي هو

التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة

الواحدة وهي ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل

فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى

تلك العقبات ولا ينقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق

الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد

انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور قال

الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال الله عز وجل

ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله

وغركم بالله الغرور وقال النبي صلى الله عليه وآله حبذا نوم الاكياس

وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب

تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه

هواه وتمنى على الله الاماني ولنمثل للغرور مثالا للايضاح اما الغرور

بالحيوة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة المفتخرين من النسيئة

والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا

اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك

اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هولاء الاشارة بقوله تعالى
ان الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان بان يصدقوا الله
في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله والاخرة خير وابقى
وقوله ما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما البرهان وهو ان يعرفوا
فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه اصلين احدهما
ان الدنيا نقد والاخرة نسية وهذا صحيح والاخر ان النقد خير من النسية
وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار
والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير فان هذا المغرور
يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية
فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال
خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسية والتجار كلهم
يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية فان
كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث
مدتها الى مدة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين
والاخرة شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين

خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي
ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة
العلم على شك والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك
والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي اقتناصه الصيد
على شك وكذلك الحزم داب العقلاء فمن شك في الاخرة فيجب عليه بحكم
الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما
يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم
ايام حياتي وان كان صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق
واما الاصل الثاني وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند
المومنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق للانبياء والعلماء
والثاني الوحي والالهام للانبياء وللاولياء اذ انكشف لهم حقيقة الاشياء كما هي
عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر
الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله
فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن احق به
من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله من قول الرجلين
المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله

عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون الى تأخير الله العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون
بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقياسهم انه قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا
وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا والتلبيس تحت ظنه
ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله
اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل
على الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى و
ان الله يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما
ورد في الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة
واما بالتقليد قال الله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم
في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر به
بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض وكيف
احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين

ولا يامن

ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اعلم ان فرق المغترين كثيرة
وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد
ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه
لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره
كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل
بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة على الوسواس في النية
او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة عن الوقت
ثم لا يحضر قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية والحروف تميز
عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القرآن فيهذه هذا وربما يختمه
في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد في اودية الاماني
ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه
عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى
الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع
في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لمكس الظلمة
وذلك بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه
ويظن انه على خير ولو رام غيره او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة
ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يأمر بالخير وينسى نفسه واذا امر عنف

وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب وكيف
تنكر علي وانما غرضه الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها و
اشتغل بها واهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات او اهمل
تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن
انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل يقبل
في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من تعجب
بنفسه ويظن انه منفك عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله من ان
يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب
العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في
من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا
غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في غيره من اهل العلم لم يكن
غضبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات
انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا
من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح
باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان
وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا

بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه
بنفسه والله مطلع على سريرته ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء
والرد على المخالفين واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح
الايمان الا بتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف
بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم
ودعا كل فرقة منهم الى نفسه وفي الحديث النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى
الا اوتوا الجدل وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة
من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
ونظايرها ويظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها صار
موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام
المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالتحقق ولا يقنعون
منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه
في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساءوا تاويل الالفاظ واغتروا
بالظواهر واخطاوا فيها وذلك مثل فتواهم بان المراة مهما ابرات
الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطأ بل الزوج
قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب
الخلاص فتبري الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله

فان طبن لكم عن شى منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد
يريد ما لا يطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكره بها
نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو
طلب من انسان مالا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان
يود ان يكون سواله فى خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس و
السوال فى مظنة الحياء والريا ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك من يعطى
اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه ومن المغترين قوم تشبهوا
باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة من الصنع والتكلف يلبسون خرقا
ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار يعلنون بالتهليل و
ليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا و
تصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم
بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعى علم المعرفة ومشاهدة
المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة فى عين الشهود ولا يعرف من
هذه الامور الا الاسماء ولكنه يلقف الطامات كلمات يرددها الذى اغنياء
كانه يتكلم عن الوحى ويخبر عن السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء بعين
الازدراء يقول فى العباد انهم اجراء متعبون وفى العلماء انهم بالحديث

عن غيره

عن الله لمحجوبون ويدعى لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبى مقرب
لا علما احكم ولا عملا هذب ياتى اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر
من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الجمع ويلقون اليه السمع وربما يخرون
له سجودا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه
ياذن لهم فى الشهوات ويرخص لهم فى الشبهات ياكل وياكلون كما تاكل
الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من حرام وهو لحلواتهم هاضم و لدينهم
وادبانهم حاطم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون واما ارباب الاموال ففرقة
منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر
للناس كافة باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون اسماءهم بالاحجار
عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا
المغفرة بذلك وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا
ولا يكتب اسمه على الموضع الذى انفق عليه لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله
تعالى مطلع عليه كتب اسما او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله
لما افتقر الى ذلك وربما يكون فى جوار احدهم او فى بلده فقير وصرف المال اليه
اهم من الصرف الى المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال فى الصدقات
وعلى الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم

الشكر والافشا للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقر لما
اخذ منهم جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل
ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقه كصيام النهار
وقيام الليل وختم القران وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح
نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب
عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد في حاجاته ويظن انه اداها
لله واصناف الغرور لا تحصى وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب
من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى و
ربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مامولك وهواك وظننت
انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك
في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك
على العبادة متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك و
وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعوا الله
وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم
لنفسك ان تميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة
واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله

بطول عمرك واولادك
واصحابك لعلك تنجو بهم
وربما اغتررت صح

والاخبات

والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم
ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت
راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعلمك منك واضيع عمرا واورث
حسرة يوم القيمة في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها
ستة ابواب في الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى فعلى الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا
وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود و
وشق الجيوب وعن شهوة البطن والفرج عفه وضده الشره
وفي الغنى ضبط النفس وضده الغضب وفي النوايب سعة الصدر و
ضده ضيق الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء الامر كتمان وضده
الاذاعة وفي فضول العيش زهد وضده الحرص ومدد باعث الدين
من الملائكه الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين
لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملئكه حتى قهر باعث
الهوى واستمر على مخالفته التحق بالصابرين وان تخاذل وضعف
حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين وهذا
الثبات انما يكون بقوه المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الهوى
عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف

البطر وفي الحرب شجاعة
وضده الجبن وفي كظم الغيظ
حلم وضده

وكرر ذكر الصبر في القرآن واضاف اكثر الخيرات والدرجات اليه وجعلها
ثمرة له فقال عز من قائل وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما
صبروا وقال انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها
بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا
ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا و
ياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واستقصاء الايات في مقام
الصبر يطول وقال النبي صلى الله عليه واله الصبر نصف الايمان وقال
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال
ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة
وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة
الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال
امير المومنين عليه السلم بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر
والجهاد والعدل وقال الباقر عليه السلم من لا يعد الصبر لنوايب الدهر

يعجز وقال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا
دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها
وشهوتها دخل النار وقال الصادق عليه السلم من ابتلي من المومنين
ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد وقال ان الله تعالى
انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصائب فصبروا
فصارت عليهم نعمة والاخبار في فضيلة الصبر اكثر من ان تحصى
اعلم ان ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والاخر ما يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذا لا
يستغني قط عن الصبر اما ما يوافق هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه
وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع
ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط نفسه على الاسترسال
والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها اخرجه ذلك الى
البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى قال بعض العارفين
يصبر عليه المومن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وذلك لانه مقرون
بالقدرة ومن العصمة ان لا يقدر والجايع عند غيبة الطعام اقدر
على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها واما
ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلوا اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات

انهمك الرجل في الدوام حرص على من

والمعاصي ولا يرتبط كالمصائب والنوائب ولا يرتبط اوله باختياره ولكن
له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام الاول
ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية
اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي
الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة و
منها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج
والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر
عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص
عن شوائب الرياء ودواعي الافات والثانية حالة العمل كيلا يغفل
عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم
على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن
افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر اليه بعين العجب وعن
كل ما يبطل عمله ويحبط اجره واما المعاصي فاشد انواع الصبر عنها الصبر
عما كان مألوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية فاذا انضافت الى الشهوة
تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله فلا يقوى باعث الدين
على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على
النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء

على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك وايسر من حركة اللسان حركة
الخواطر باختلاج الوساوس الا ان يغلب على القلب هم الهي في الدين
يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد واكثر جولان الخواطر اما ان يكون
في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر
وكيف ما كان فهو تضييع زمان وآلة العبد قلبه فاذا غفل القلب
في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله
ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه
باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجني
عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة قال الله تعالى
ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى
فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وقال صلى الله عليه وآله صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله
واخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض
ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين قال النبي صلى الله عليه وآله اسالك
من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا وقال صلى الله عليه وآله ما

عبد مومن اصيب بمصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك وقال صلى الله
عليه وآله قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله
او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا
او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وآله الصبر ثلثه صبر عند المصيبة
وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن
عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء
والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى
الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة
درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش وعن الباقر
عليه السلم الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وافضل الصبرين الورع
عن محارم الله   ان قلت فبماذا ينال درجة الصبر في المصائب وليس
الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه
كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار
الكآبة وتغير العادة في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة
تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى .

ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت
ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع
فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك
لما مات ابرهيم ولد النبي صلى الله عليه فاضت عيناه فقيل له اما
نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء
وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب وكذلك
ايضا لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم على الفصد والحجامة راض
وهو متألم بسببه لا محالة نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وساير المصايب
وقد قيل من كنوز البر كتمان المصايب والاوجاع والصدقة وعن الباقر
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى من مرض ثلثا فلم يشك
الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان عافيته
عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتي وفي معناه اخبار اخر
وفي بعضها فسر التبديل بخبر بان يبدله لحما ودما وبشرا لم يذنب فيها وفسر
الشكاية بان يقول ابتليت بما لم يبتل به احد واصابني ما لم يصب احدا
قال وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا
وعن الصادق عليه السلم من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله شكرها
كانت كعبادة ستين سنة سئل ما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان

فيها فاذا اصبح حمد الله على ما كان وسئل الباقر عليه السلم عن الصبر الجميل
فقال ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس وعن النبي صلى الله عليه واله
من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك
واما الشكاية الى الله تعالى وسواله الرفع فحسن قال يعقوب انما اشكو بثي
وحزني الى الله الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين
وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة
ووقتها واضرار الجزع وقبحه وان يكثر فكرته فيما ورد في فضل الصبر وفي
حسن عواقبه في الدنيا والاخرة وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة
اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى
معه الا مدة حيوة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن
اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وان يعود
هذا الباعث مصادمة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر
بها فيتجرى عليها وتقوى منته في مصادمتها فان الاعتياد والممارسة
للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ومن عود نفسه
مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك بتعب قوي فتصبر
وان كان بيسير فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان كان بلذة فشكر
وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعلم التميز

بين الالم واللذة في الرضا والشكر اما الرضا فهو
ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي
صلى الله عليه واله انه سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون
فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى
بمواقع القضاء فقال مومنون ورب الكعبة وفي خبر اخر قال حكماء علماء كادوا
من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد عليه السلم الصبر والرضا
عن الله راس طاعة الله ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره
لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن الباقر عليه السلم احق خلق الله
ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضى بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله
اجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق
عليه السلم ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنهم عليهم السلم ان فيما اوحى الله
تعالى الى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المومن
واني انما ابتليه لما هو خير له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه
عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين
عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم عليه السلم ينبغي لمن عقل
عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه وفائدة الرضا
في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المال رضوان الله

والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على
بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله
سبحانه له فهو الاصلح بحاله وان لم يبلغ علمه بسره ولا مدخل للهم فيه
ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة
الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة
السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق
والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب المشقة كالمريض والتاجر
المتحملين شدة الحجامة والسفر مفوض امره الى الله ان الله بصير بالعباد قال
الصادق عليه السلم لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء مضى لو
كان غيره   اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء
الا الصبر واما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت
تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال
الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى
يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله
الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس
بها فاذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قد
تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب

اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك
العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان
يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب
على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه و
جمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال فمن ينكشف له شيء
منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه و
اما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به
بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس
من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه
ومتقلد منه المنة فهذا حالة الرضا بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته
بلية من الله عز وجل وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق
ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ
الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب
في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه
محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق و
قد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم وقد روينا ان اهل مصر مكثوا
اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلم كانوا

اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل
في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستغراقهن بملاحظة
جماله حتى ما احسسن بذلك ويروى ان عيسى على نبينا وعليه السلم
مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو
يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا
اي شي من البلاء تراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل
الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله
يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به
فصحب عيسى وتعبد معه   اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك
كراهة المعاصي ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين
وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به
وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت
ادعية الانبياء والائمة عليهم السلم وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله
عز وجل على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم
واما انكار المعاصي وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على
الرضا بها فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا

مع الخوالف

مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي
به فكانه قد فعله وفي اخر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب
كان شريكه في قتله واما بغض الكفار والفجار ومقتهم والانكار عليهم فما
ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى وقد ورد اوثق عرى الايمان
الحب في الله والبغض في الله فان قلت فقد وردت الايات والاخبار بالرضا
بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في التوحيد
وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل
الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرضا والكراهة
في شي واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف
على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما
من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا
والكراهة متضادان اذا توردا على شي واحد على وجه واحد وليس من التضاد
في شي واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي
هو عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو
عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان
وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا
الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث

انه كسبه و وصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده حيث
سلط عليه اسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم ويشهد
لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فواجب
على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته وان
اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار البغض
على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده. وبهذا يجمع بين ما ورد في الحب
في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا يستمد من سر القدر الذي
لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير داخلان في المشيه والاراده ولكن
الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطا عنه غير ماذون
فيه فالاولى السكوت عنه والتادب بادب الشرع فقد ظهر الغرض من غير حاجة
الى كشف السر فيه   واما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح
والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته اما
المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط مسخرون
من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى في قلوبهم من الاعتقادات
والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال اليك فمن عرف ذلك كانت
معرفته شكراً لله وهذا هو الشكر بالقلب واما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع
والتواضع فهو ايضاً في نفسه شكر على حدة كما ان المعرفة شكر فانما كان الفرح

بالمنعم

بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انه تقدر بها على التوصل
الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر واما من
ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها وتحزن بكل
نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضاً شكر بالقلب
واما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو مقصود
المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير و
اضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدالة عليه
واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها
على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن شكر
الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة
شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة
الشمس ايضاً اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه
ودنيا ويتقي بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق
الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول الى الله
الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام
الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر
والفكر الا ببقاء البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك

الا لخلق الارض والسماء وخلق ساير الاعضاء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيأ في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التى لابد منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وعن الصادق عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع وعنه عليه السلم قال من اعطى الشكر اعطى الزيادة قال الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وعنه عليه السلم قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يومر له بالمزيد وعن الباقر عليه السلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عايشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال صلى الله عليه وآله يا عايشة الا اكون عبدا شكورا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على اصابع رجليه فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وعن الصادق عليه السلم شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال الحمد لله على كل نعمة عليه في اهل ومال وان كان

فيما انعم عليه في ماله حق اداه ومنه قوله سبحانه سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا اورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه السلم قال اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه اعلم انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يحتاج الى شكر اخر وهكذا قال الصادق عليه السلم اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلم يا موسى اشكرني حق شكرى فقال يا رب كيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وكنت انعمت به على قال يا موسى الان شكرتني حيث علمت ان ذلك منى وعن السجاد عليه السلم قال كان اذا قرا هذه الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يقول سبحان من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر الله تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره

نجعل معرفتهم بالتقصير شكرا كما علم علم العالمين بانهم لا يدركونه فجعله
ايمانا علما منه انه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فان شيا من خلقه
لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له ولا كيف
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن الصادق عليه السلم قال اذا اصبحت
وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي من نعمة او عافية في دين
او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب
حتى ترضى وبعد الرضا فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم
الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية كان نوح يقول
ذلك اذا اصبح فسمي بذلك عبدا شكورا وعنه عليه السلم مكتوب في التورية
اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعما اذا شكرت
ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم وامان من الغير يعني من تغير الحال
وانتقالها من الصلاح الى الفساد وعن السجاد عليه السلم قال ان الله تعالى يحب
كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده
يوم القيمة اشكرت فلانا فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره
ثم قال اشكركم لله اشكركم للناس اعلم ان النعم اما دنيوية كالصحة
الصوية والملاذ الشهية وصرف المفاسد والمضار واما دينية كالاسلام
ومعرفة الايمة المعصومين عليهم السلم والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية

والدين

والدينية اعظم لايصالها الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة
السرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية واغتنام الابرار بهم وزوالها
منها قال الكاظم عليه السلم من حمد الله على النعمة فقد شكره والحمد افضل
من تلك النعمة والطريق الى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنايعه
تعالى والنظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى في الدين والشكر في المصايب
على ان لا يصيبه اكبر منها وان لا يكون في الدين وان لم يعجل عقوبته
ولا تدخر للاخرة وانها كانت اتيه تفزع منها وان ثوابها خير له
وانها تنقص من القلب حب الدنيا فهي في التحقيق نعم اذ لا تخلو عن تكفير
الخطيئة او رياضة النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية
خير من البلاء فعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يستعيذ في دعائه
من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول هو والانبياء والاوصياء
عليهم السلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون
من شماتة الاعداء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلوا الله
العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين
الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فان عافية القلب اعلى من
عافية البدن   في الرجا والخوف اما الرجا فهو ارتياح
القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه فالاصدق اسم الرجاء

كوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا ارض صالحة يصلها الماء وان تقدها [يعود]
وللحماقة كالو القى في غير صالحة لا يصلها الماء وان شك فيها ما انتبى
كما اذا اصلحت الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالار[ض]
والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها و
مجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق
بها كالارض السبخة التي لا ينمى فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا [يحصد]
احد الا ما زرع ولا ينمى الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث
القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمى بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء
العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها
بذرا جيدا ثم امده بما يحتاج اليه من تنقيه الارض ما يمنع نبات البذر
او يفسده وسوق الماء اليه في اوقاته ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع
الافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان [بث]
البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر [اصلا]
ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في [ارض]
طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا يغلب الامطار ولا
يمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على [انتظار]
محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس

المستهتر المولع الحريص

يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك
الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن
الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه
باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة
الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك
القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة
فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا وقال النبي صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله وقيل للصادق عليه السلام
ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا ليسوا
لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجى شيئا عمل له ومن خاف
شيئا هرب منه وقال عليه السلم لا يكون المومن مومنا حتى يكون خائفا
راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو فاذا العبد
المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة

ارجح الماني

لابدخول الجنة واما المعاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه
من تقصير فحقيق بان ترجو قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية لسوء
السيئة وتشره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ومن يشتهي التوبة ويتأتى
اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية و
حرصه على الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة واما الرجاء
بعد تأكد الاكتساب   واما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب و
احتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب المكروه
يكون قوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف
والخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون
لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب
معرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته
يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله انا اخوفكم لله وقال سبحانه انما يخشى الله من عباده
العلماء ثم يتعدى كمال المعرفة يفيض الحركة اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى
الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصغار والبكاء واما
في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا
للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه انما من ترك ما يخاف

ان يعاقب عليه وقال الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله
هرب اليه واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي
المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا
عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل
في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد
والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره
ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس
واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات فيكون ظاهره وباطنه
مشغولا بما هو خائف منه لا يتسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف
واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع من
المحظورات ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت قوته
كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى وقد يحمله على ان
يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا
يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه
جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي
الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف

اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه في تقويم الجوارح بالكف والاقدام
على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم والحب اغلب بالرجا، ولذلك
ورد في الرجاء وحسن الظن رغايب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل الياس وقال ان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم وقال ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلى الله
عليه وآله يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا
وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل عليه السلم على رجل وهو
في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي
فقال عليه السلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله
ما رجا وامنه مما يخاف وقال امير المومنين عليه السلم لرجل اخرجه الخوف
الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي
اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف
لقولك اني اخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون لم خفت الذيب و
لم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم

التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي
كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي
من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن
برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي
عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله
الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه عليه السلم قال وجدنا في كتاب علي
عليه السلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره والذي لا اله
الا هو ما اعطي مومن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له
وحسن خلقه والكف عن اغتياب المومنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله
مومنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه
وسوء خلقه واغتيابه للمومنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مومن
بالله الا كان الله عند ظن عبده المومن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان
يكون عبده المومن قد احسن الظن ثم يخلف ظنه ورجاه فاحسنوا بالله الظن
وارغبوا اليه قال الصادق عليه السلم حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله ولا تخاف
الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجا ذكر سوابق فضل الله سبحانه من دون شفيع
وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم بما يمد في الدارين من دون
سوال وسعة الرحمة وسبقها الغضب والاخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه

اكثر من ان يحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها الان المحتاج الى تحصيل الرجاء من
غلب عليه الخوف ذا الياس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان الذنوب
والمغترون بما هم فيه من الفساد والحوب كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد [illegible]
سماعهم لها الا في طغيانهم تماديا وفي فسادهم فسادا اعلم ان
الرجا محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو خسر ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون وكذا الخوف الى الامن محمود الى حد فان جاوز الى
القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى الياس
فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والاصلح ان يعتدل
بما قال امير المومنين عليه السلم لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى
انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء
كانك لو اتيته بسيآت اهل الارض غفرها لك وعن الباقر عليه السلم ليس
من عبد مومن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن
هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال ولو وزن هذا على هذا لم يزد على هذا ص
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء
في غالب الناس فشدة الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف
على الموت غلبة الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء وحسن
الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت

العمل

العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها يقطع نياط قلبه وتعين
على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوى قلبه ويحبب اليه ربه الذي
اليه رجاوه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون
محبا للقائه فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن يقدم على محبوبه
عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبا اشتدت محنته وعذابه
فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال
والمسكن والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا جنته
فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين ما تشتهيه واما اذا لم
يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا
وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم على محبوبه
وخلاص له من السجن فما ذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله
اعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم
الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة
والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما يزول الغفلة
بالتذكر والوعظ وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب
في الاخرة ويزداد ايضا بالنظر الى الخايفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم
فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير واما الثاني وهو الاعلى

ان يكون الله هو الخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه ويرجوا
القرب منه وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما
يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه و
قوله واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي صلى الله
عليه وآله راس الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنسوب الى السجاد عليه السلم
سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الصادق عليه السلم من عرف
الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا وقال ان من العبادة
شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال
تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا
وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال المومن
بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري
ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف
وقال لا يكون المومن مومنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا
راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار يا اسحق خف الله
كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد
كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون

الناظرين اليك وقال من خاف الله تعالى اخاف الله منه كل شيء و
من لم يخف الله اخافه الله من كل شيء وعن النبي صلى الله عليه وآله
ما من مومن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من
خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال
اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات
من الشجر ورقها وروى الصدوق في عرض المجالس عن ليث بن ابي سليم
قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينا رسول الله صلى الله عليه وآله
مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل
يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول يا نفس
ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما يصنع
ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي صلى الله عليه وآله بيده
ودعاه فقال يا عبد الله لقد رايتك صنعت شيئا ما رايت احدا من الناس
صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت
لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى الله عليه
وآله لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء
ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا
منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا

الجنة مابنا وحديث بهلول النباش مشهور في الكتاب المذكور وغيره
وعن الباقر عليه السلم قال صلى امير المومنين عليه السلم بالناس الصبح بالعراق
فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد عهدت
اقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم ليصبحون ويمسون
شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون
بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد
رايتهم مع هذا وهم خايفون مشفقون وفي رواية اخرى كان زفير النار في
اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين
قال ثم قام فما رؤي ضاحكا حتى قبض عليه السلم واما خوف الملئكة والانبياء
والاولياء وايمة الهدى كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبينا وابرهيم الخليل وداود
ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فليرجع
اليها من اراده فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره . اعلم ان
الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها
في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره
المعاصي لادائها الى مكروه في الاخرة ولا بد لكل خايف من ان يتمثل في نفسه
مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره
ذلك المكروه ومقام الخايفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات

المحذورة اما الخايفون مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته
فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف
ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب و
تبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء
العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته
التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه
او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم
او خوف انكشاف غوائل الطاعة حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او
خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او
خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا
والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله
على سريرته في حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف
السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها
خصوص فايدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف
استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من
اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية
الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر

على الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة
يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء
في ام الكتاب واليه الاشارة بما رواه الصادق عليه السلم قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه
ثم قال اتدرون ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال
اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبايلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده
الشمال فقال ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال
اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبايلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله
وعدل حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير
وعنه عليه السلم قال يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس
ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق
السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء
ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة
واما الخايفون مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه
سكرات الموت وشدتها او سوال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع
او هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسوال عن النقير
والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار

واعلاها

واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك
المقيم ومن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها
رتبة وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين
وكافة العاملين ولا يخفى ان فضيلته التي تقدر انما هي على السعادة
ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس
به في الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر والذكر
ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر
والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا
ينقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة
للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف
عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات
الخوف كما بيناه اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا مختلفة ترجع
الى ثلثة اما السبب الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على القلب عند
سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح
في تلك الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدايم
والعذاب المخلد وسبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله

وانما له خلاف الحق اما برايه ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند
سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف
الغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية
اعتقاداته او الشك فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطوة
قبل ان يتيب ويعود الى اصل الايمان وقد ختم له بالسوء وخرجت
روحه على الشرك قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني
الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا ولذلك ورد ان
اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث والنظر والخوض في الكلام والاكتفاء
بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه وذلك لان الخطر في البحث عن الصفات
عظيم وعقباته كودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله
قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا
محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة مضطرب ومتعارض
والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشو الفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة
بين الخلق مسامير موكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين
في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا

مخنقها

يخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله و
في صفاته بالراي والعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم
وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما
يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم
وانسد بالكلية طريق الخلاص عنهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال
الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من فقهه الله في الدين
وعلمه التاويل واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت الاحمر واما السبب
الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف
الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع
لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن
طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب
ويقسو ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه من نور
الايمان حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد حب الله ضعفا لما
يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب ويتالم القلب
باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله
من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض لله بدل الحب فان اتفق زهوق
روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وحصل .

فى قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو بعيد
عن هذا الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم و
ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله و جهاد
فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره واما السبب الثالث فكثرة المعاصى
وان قوى الايمان وذلك لان مقارفة المعاصى سببها غلبة الشهوات
ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان
فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات
كان اكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصى غلب على قلبه عند الموت ذكر
المعاصى فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية
من المعاصى فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذى لا يقارف الذنب
الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كان الانسان
يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره والف بها حتى انه
لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة فكذلك حاله عند سكرات الموت وما
يتقدمه من الغشية فانه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضى ذلك تذكر المالوفات
وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة
فى قلبه ويميل نفسه اليها فربما يقبض عليها روحه فيكون سوء خاتمته

وان كان

وان كان اصل الايمان باقيا ومن اراد ان يكف خاطره عن الاسترسال
الى المعاصى والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر فى فطام نفسه عنها
وفى قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار و
يكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة
لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات
عليه كما ورد فى الخبر ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة
وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب الذى طال
الفه له قبل الموت وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة
حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع
فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور
البرق الخاطف فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد
الانسان ان لا يرى فى المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات
عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن
اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما
يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة وقد عرفت بهذا ان اعمال المرء كلها ضايعة
ان لم يسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج

الخواطر مشكل جدا ومن هذا قيل لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكن
اعجب ممن نجى كيف نجى ولاجل هذا الخطر العظيم كان الشهادة مغبوطا عليها
وموت الفجاة مكروها اما موت الفجاة فلانه ربما يتفق عنده خاطر
سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح
في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال
والولد اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا محبا لله
وطالبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله
به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة الاية

في المحبة والانس

اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو ثمرة
من ثمراتها كالشوق والانس ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها
كالصبر والزهد وساير المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان
بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض
اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله عز وجل
واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس
والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه مع ان في القران
والحديث وحكايات المحبين ما هو نص على ثبوت حقيقة المحبة ولوازمها

لله عز وجل من غير قبول للتاويل فمن شواهد القران في حب الله عز وجل
قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين امنوا اشد حبا لله وقوله قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية
وقال النبي صلى الله عليه واله لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب
ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وفي الخبر المشهور
ان ابرهيم عليه السلم قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا
يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال
يا ملك الموت الان فاقبض وفي مناجاة موسى يا ابن عمران كذب من
زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبها
انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم
الى من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة و
يكلموني عن الحضور يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك
الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل فانك تجدني قريبا وروينا
ان عيسى عليه السلم مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال
لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله
ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا

فقال لهما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فالحق على الله
ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا
كان على وجوههم المرايا من النور فقال لهما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله
عزوجل فقال انتم المقربون انتم المقربون وفي علل الشرايع عن نبينا صلى الله
عليه وآله ان شعيبا عليه السلم بكى من حب الله عزوجل حتى عمى فرد الله
عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة
اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا ابدا منك ان يكن
هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك
فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك
ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا
كان هذا هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال
امير المومنين عليه السلم في بعض ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي
وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك وعن سيد الشهداء الحسين
في دعائه يوم عرفة انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا
سواك ولم يلجأوا الى غيرك وقال يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا
بين يديه متملقين وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد عليه السلم وعزتك
لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وآنست نفسي ببشارتها

ومجال

١٠١

وفي مجال في عدل اقضيتك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي
محبتك وفي مناجاة اخرى فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق
اليك في حدايق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم وقال
والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار اليك يسارعون وبابك على الدوام
يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون وهم من هيبتك مشفقون
الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغايب وقال وملات ضمايرهم
من حبك ورويتهم من صافي شرابك وقال فبك الى لذيذ مناجاتك
وصلوا ومنك على اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال لقد انقطعت اليك
همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري
وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي
محبتك ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي
وجوارك طلبتي وقربك غاية مسألتي وفي مناجاتك روحي وراحتي و
عندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال ولا
تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي وقال
ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي
آنس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك
واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك

لوعتي [illegible]

ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك فاعذته من هجرك وقلاك
ثم قال وهيجت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه
لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا من اسم الارتياح اليك
والحنين ودينهم الزفرة والانين وجباههم ساجدة لعظمتك
ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم
متخلعة من هيبتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات
نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منتهى قلوب المشتاقين ويا
غاية آمال المحبين اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل
الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك وقال ايضا الهي ما الذ خواطر
الالهام بذكرك على القلوب وما احلا المسير اليك في مسالك الغيوب
وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك قال وغلتي لا يبردها
الا وصلك ولوعتي لا يطفيها الا لقاؤك وشوقي اليك لا يبله
الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا
يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك
وجرحي لا يبرؤه الا صفحك وصدا قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس
صدري لا يزيحه الا امنك وامثال هذا في ادعيتهم اكثر من ان يحصى
وعن امير المومنين عليه السلم ان لله تعالى شرابا لاوليائه اذا شربوا

سكروا

سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا واذا
ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا
وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم

اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد المعرفة
بذلك الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب وكلما كانت المعرفة به اقوى
واللذة اشد واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر
والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور
الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع
السليم والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور
في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس وكما ان الانسان يحب نفسه وكمال
نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه فكذلك
قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه
وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به فذلك كحب الجمال والحسن فان كل
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال
فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة
لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة

لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته
وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء او
يوكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الروية وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية
باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر اليها
لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا على مدركات
البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن وهذا خلق حسن
وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات مدرك
بالبصر بل ليس الحسن والجمال مقصورا على مدركات الحواس بل كثير من خلال
الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة وآية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة
على حب الانبياء والائمة عليهم السلم مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل
ليحبا ويحبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع
امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه
ومتبوعه وجملة خلال الخير يرجع الى العلم والقدرة وهما محبوبان بالطبع
وغير مدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخا وعليا عليه السلم بالشجاعة
احبهما القلوب حاضرا وغائبا وليس ذلك عن نظره الى صورة محسوسة

ولا حظ

ولا من حظ ينال المحب منهما ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه
من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني
الظاهرة ثم كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير اما لحسنه
وجماله او لاحسانه وكماله او للمجانسة بينه وبين المحب اما محبة النفس
فهي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملايمة والمعرفة ولا شيء
اشد ملايمة لاحد من نفسه ولا هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا
جعل معرفة نفسه مفتاحا لمعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له
فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه
وجماله او لقربه من الله وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء كان
الجمال الظاهر الصوري والباطن المعنوي وكذا الكمال كالكمال والله هو الجميل الذات
والكامل الذات وكل مليح حسنه من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب
احد غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب واستار الاسباب
وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان فان الاحسان ايضا محبوب لذاته
سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله
جل شانه فانه خالق الاحسان وذويه وخالق اسبابه ودواعيه وكل
محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله
وافضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء

كانت المجانسة بمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى
خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه او مال
فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها
اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع الى محبة الله كما عرفت
فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله الا انه لا يعرف ذلك الا اوليائه
واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلم في دعاء عرفه بقوله
وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ولم
يلجا والى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله
وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون
وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات
البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون   اعلم ان اجل اللذات واعلاها
معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يوثر عليه لذة
اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات تابعة للادراكات
والانسان جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها
في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي
والانتقام فلاجرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت
لتحصيل

لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلاجرم لذتها في نيل الغذاء وهكذا باقي
الغرايز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد يسمى نور الايمان
واليقين يعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم
من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني
عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال
علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم
بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملئكته
وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف
والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل
في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومكملها
ومربيها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة
بالله اقوى من ساير اللذات لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف
ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة
كما قيل كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني
من كنت احسده فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم
ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي   اعلم انه لا فرق في الوجود بين النهار

في الاخرة فكما انه لا يجوز رؤيته الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك
لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر وكما انه يجوز رؤيته في الاخرة
بالقلب والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف والوضوح
بحيث يتادى الى المشاهدة واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا
بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة
دون الجسد فان اولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم
ومتصرفاتهم وليلهم ونهارهم كما قال تعالى والشهداء عند ربهم وقال
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال الا من شهد
بالحق وهم يعلمون فسماهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما
ذكر بقوله عز وجل فاينما تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر
والظاهر والباطن فوصفه بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا
هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا
هو معهم فلما تحقق اولياء الله بمعاني هذه الايات شاهدوه باعين
قلوبهم سئل امير المومنين عليه السلم هل رايت ربك حين عبدته
فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته قال لم تدركه
العيون في مشاهدة الابصار ولكن راته القلوب بحقايق الايمان قال
ابنه الحسين سيد الشهداء كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك

ايكون

١٠٦

ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت
حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي
توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة
عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك
شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر
لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلم في هذا المعنى نعم يمكن ان
يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وزكائهما وتجردها
عن العلايق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده عن ابي
بصير عن الصادق عليه السلم قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل يراه المومنون
يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال لهم
الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان المومنين ليرونه في الدنيا
قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك
فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى
ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين
تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون اراد عليه السلم بالمشبهين والملحدين
اصحاب التيمي والعدوي فانهم يزعمون ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين
في الاخرة وان لم تجز في الدنيا وان المومنين يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون

القمر ليلة البدر وقد سئل الصادق عليه السلم عما يروون من الرؤية
فقال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين
جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب
جزء من سبعين جزء من نور الستر فان كانوا صادقين فليملئوا اعينهم
من الشمس ليس دونها سحاب اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة
وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها و
بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل الى الله بالذكر والفكر
ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء الذي لا يسع للخل
ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب
ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة
بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص حب الله الا ان يكون التفاته الى
من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر اسماء الله والى
التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وذلك انما يكون
الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا والتشوق الى ما
من المطلوب مما لم يحصل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه
ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين ولا نهاية له لان
فيما حصل لا نهاية لسبحاته وكذا الازدياد فيما بقي من جمال الله وجلاله

لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال يجد ايضا شوقا الى ما لا
فيه الي الشوق لا يسكن قط ولا سيما من يرى فوقه درجات كثيرة
نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح
قال الصادق عليه السلم المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا
رقادا ولا يانس حميما ولا ياوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا
قرارا يعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه
بلسان شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في
ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله
انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه
ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر
على نفسك ومرادك من الدنيا ودع المالوفات واحرم عن سوى مشوقك
ولب بين حيوتك وموتك لبيك اللهم لبيك واعظم الله تعالى اجرك
ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه والاخبار
الواردة في شوق لقاء الله تعالى اكثر من ان تحصى وقد مرت الاشارة الى
بعضها في ادعية المعصومين عليهم السلم اعلم ان الانسان اذا غلب
عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستقر تصوره عن
الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه

فسميت هذه الحالة فى الانزعاج شوقاً وهو بالاضافة الى امر غايب واذا
غلب الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف و كان
نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم
يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان
نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال
والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفاً وهذه الاحوال تابعة
لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق
اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته
الا فى الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله
بل كل ما يعوق من الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روى ان موسى
على نبينا وعليه السلم لما كلمه ربه مكث دهراً لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه
الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب و عذوبة ذكره فيخرج من
القلوب عذوبة ما سواه فان خالط الناس كان كمنفرد فى جماعة و مجتمع
فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغايب فى حضور
ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر قال امير المومنين
عليه السلم فى وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون

صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله
فى ارضه والدعاة الى دينه   اعلم ان الانس اذا دام وغلب و استحكم
ولم تشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر
نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون
منكرا بحسب الصورة لما فيه من الجرأة وقلة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام
الانس ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك و اشرف
على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذى امر الله تعالى كليمه موسى ان يساله
ليستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى فى سبعين
الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم
سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويامنون مكرى ارجع الى عبد
من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى
فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق اذا بعبد اسود قد استقبله
بين عينيه تراب من اثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى
بنور الله تعالى فسلم عليه فقال له ما اسمك قال اسمى برخ قال فانت طلبتنا
منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا
من حلمك وما الذى بدا لك انقصت عليك غيومك ام عاندت الرياح
عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت

عفا وا قبل خلق الخطا بن خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام تربنا
املك تمنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال الغزالي فما برحت حتى اخضلت
بنو اسرايل بالمطر وانبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت
ربي كيف انصفني فهم به موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا
يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم ان الانبساط والادلال يحتمل
من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس قول موسى ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما
اذهب الى فرعون انه طغى قال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون
وقوله ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى
وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف
ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة
فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهي نبينا
صلى الله عليه واله ان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال
والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة

من العا

بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على نبينا وعليه السلام من المفضلين و
لادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهده من اللطف في مقام الانس
واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى سلم
عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض
العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا الى راس العشر من آية من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا
واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث
والاربع فغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل العزير مسلة واحدة سال عنها
في القدر حتى قيل لئن عاد محى اسمه عن ديوان النبوة وهذه القصص
وردت في القران ليتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من
قبل فما في القران شي الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه
واما محبة الله سبحانه لعبد فيرجع معناه الى كشف الحجاب
عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته
ذلك به في الازل والى تطهير باطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوايق

تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا
ينطق الا به كما ورد في الحديث القدسي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل
الله ولطفه به قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
فان رضي اصطفاه وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا
من قلبه يامره وينهاه واخص علامات حبه لله فان ذلك يدل على حب الله
عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره
وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه
والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض
للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته
والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته   اعلم ان اظهر الموجودات
واجلاها هو الله سبحانه وذلك لانه هو الموجود بذاته وما سواه

موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض والنور هو الظاهر
لنفسه المظهر لغيره ومبداء الادراك من المدرك والمدرك انما هو الموجود
فكلما ادركته فانما تدرك وجوده وان لم تشعر بذلك وانما خفي
عليك ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره
فان الاشياء انما يستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له
عسر ادراكه فلو اختلف الاشياء فدل بعضها على الله دون بعض ادركت
التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر
ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض
يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة
الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها
واما الضوء فلا يدركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع
ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام قد استضاءت بضوء
فارقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه
لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة
في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم امره بسبب ظهوره
لولا طريان ضده فاذا الحق سبحانه هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء

كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل
الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء
موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة
ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال
يستحيل خلافه فلاجرم اورثت شدة الظهور خفاء فهي لافراط الظهور تعرضت
لادراكه ابصار قوم اخافش وحط عيون الورق من نور وجهه لشدته
حط العيون العوامش قال امير المومنين عليه السلم لم تحط به الاوهام
بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وقال الظاهر في غيبه والغايب في ظهوره
لا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى
وعلا فدنى وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن اي ظهر وعلن ولي
نعلت من هذا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد في اليقين
والتوكل قال الله تعالى وبالاخرة هم يوقنون وقال النبي صلى الله عليه وآله
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال
ما فاته من صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين كثير
الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما ادمي الا وله ذنوب
ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما
اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به

الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع
العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص
يقينه وعن الصادق عليه السلم قال ليس شيء الا وله حد قيل فما حد
التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال لا تخاف مع الله شيئا وقال
عليه السلم من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا
يلومهم بما لم يوته الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده
كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه
كما يدركه الموت ثم قال ان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة
في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط اراد عليه السلم بقوله
ولا يلومهم على ما لم يوته الله ان لا يشكرهم على ترك صلتهم اياه بالمال ونحوه
فان ذلك شيء لم يقدره الله له ولم يرزقه اياه ومن كان من اهل اليقين عرف
ان ذلك كذلك ولا يلوم احدا بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته
بحسب استحقاقه وما اوجبته حكمة الله في امره وعنه عليه السلم ان العمل الدائم
القليل على اليقين افضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين وعنه عليه السلم
قال كان امير المومنين عليه السلم يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وان الضار
النافع هو الله تعالى وعنه عليه السلم ان امير المومنين عليه السلم جلس الى حائط

مايل يقضي بين الناس فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور
فقال امير المومنين عليه السلم حرس امرء اجله فلما قام سقط الحائط وكان
امير المومنين صلوات الله عليه يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين وعند
عليه السلم قال كان قنبر غلام علي يحب عليا حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله
عليه خرج على اثره بالسيف فراه ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت
لامشي خلفك يا امير المومنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني
او من اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون
لي شيئا الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وقيل للرضا عليه السلم انك
تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان لله تعالى واديا من ذهب حماه
باضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي لم تصل اليه يعني بالسيف سيف السلطان
وعنه عليه السلم كان في الكنز الذي قال الله تعالى وكان تحته كنز لهما كان فيه
بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يركن
اليها اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت
الى الوسائط بل يرى الوسائط كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان الله
الرزق وان ما قدر له سيساق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله مطلع عليه

في كل حال وشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون متادبا
في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته في عمارة باطنه
وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره
لسائر الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم اليقين يوصل العبد
الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه واله عن عظم
شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال
لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله
كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمومنون
ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري
من الحول والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا
قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم
والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب
ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور
الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان
العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك
بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا

حدوده ولا يتركوا من فرايضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا
يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص واما اذا ابوا ذلك
وارتبطوا بخلاف ما حددهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل
الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا يستجلب من كسبه
الى نفسه الا حراما وشبهة وعلامته ان يوثر ما يحصل من كسبه ويجوع
وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والماذون بالكسب من كان بنفسه
مكتسبا وبقلبه متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين ثم المال وكون
ذلك وفوته سواء وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امره الله
عز وجل ويكون منعه وعطاوه في الله   التوكل منزلة من منازل
الدين ومقام من مقامات المومنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في
نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من
حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد
والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على
الاسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مومنين وقال جل وعلا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم
بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله لابسه فان المحبوب لا يعذب.

ولا يبعد

ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية
من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل
مونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده
وعن الصادق عليه السلم اوحى الله تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي
دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن
فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من
خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت
الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك وعنه عليه السلم ان الغنى والعز يجولان
فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه عليه السلم انه قرا في بعض الكتب ان الله
يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مومل
غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه
من وصلي ايومل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع
بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني
فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة

الكيد ارادة مضرة الغير على الخفية
الاسخات الخسف

فقطعت رجاءه مني جعلت آمال عبادي عني محفوظة فلم يرضوا بحفظي
وملأت سماواتي ممن لا يمل تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين
عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك
كشفها أحد غيري أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب
سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي أوليس الجود والكرم لي أوليس العفو والرحمة
بيدي أوليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني أفلا يخشى المؤملون
أن يؤملوا غيري فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعا ثم أعطيت
كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف
ينقص ملك أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني
ولم يراقبني   اعلم أن من اعتقد اعتقادا جازما بأنه لا فاعل إلا الله
وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأن له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد
ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى
قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل
لا محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وإن
لم يجد ذلك من نفسه فسببه أحد أمرين إما ضعف اليقين وإما ضعف
القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة
عليه فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين

كانزعاجه أن يبيت مع ميت في قبر أو فراش مع عدم نفرته عن سائر
الجمادات فالتوكل لا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ بهما يحصل
سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر
فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله أولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فإن
اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما أصلا وإنما
يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب
اليقين إلا أنهم معرضون عنه وعن الكاظم عليه السلام في قول الله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال التوكل على الله درجات منها أن تتوكل
على الله في أمورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم أنه لا يألوك خيرا
وفضلا وتعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك عليه وثق
به فيها وفي غيرها ولعل المراد بدرجات التوكل أن تتوكل على الله في بعض أموره دون
بعض وتعددها بحسب كثرة الأمور المتوكل فيها وقلتها   اعلم أن من الناس
من يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط
على الأرض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام
في الشرع فإن الإنسان مكلف بطلب الرزق بالأسباب التي هداه الله
إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك مما أحله الله وكما

والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك
طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به اليه بل هو افضل العبادات
كما مر بيانه في الباب الاول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا بان
لا يثقوا الا به جل وعز ولا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا
على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل المامور به في الشرع الاقدس
هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا
ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان سكونه الى الله تعالى
دونها مجوزا ان يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه
الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب من مسبباتها
سواء كانت لجلب نفع متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة اذى
واقع وسواء كانت مقطوعا بها كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه
او مظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة
للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة المرض والتحرز
عن النوم في مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق الباب
وعقل البعير ونحو ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء
في دقائق التدبير فتبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب
عند العقلاء الالباء وليست مما امر الله بها بل ورد النهي عنها

على ان

على ان المامور به الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستبطاء
قال النبي صلى الله عليه وآله الا ان الروح الامين نفث في روعي انه
لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله عز وجل واجملوا في الطلب وقال
ما اجمل في الطلب من ركب البحر وقال الصادق عليه السلام ليكن طلبك
المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن
اليها ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك
عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين اعطوا المال
ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت بساطك
فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة والمظنونة
مع ان الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه
ابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب كما قال الصادق عليه السلام واحب الله
لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم
بذلك قال الله خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اخفاء عن
اعين الاعداء دفعا للضرر وقال النبي صلى الله عليه وآله للاعرابي لما
اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك روي ان هذا

من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني
ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني
فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي
وجلالي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه
هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه ذلك فاوحى الله
اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي
بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي وفي الاسرائيليات ان موسى
عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت
بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء فطالت علته
فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابراتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال
لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله
اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء
غيري ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان يكتفي بالاسباب
الخفية عن الاسباب الجلية كان يسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس
بغير زاد بعد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه
من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله وان يكون بحيث
يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له وان يوطن نفسه على انه ان مات

جوعا كان خيرا له في الاخرة او يقعد في بيته او في مسجد ويتفرغ بترك
الكسب للفكر والذكر والاخلاص واستغراق الوقت بالعبادة بحيث لا
يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون
قوي القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا خطأ لان من جاهد نفسه
وسواها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت
الاسباب له جلية فان عدم الحاجة احد الغناءين ثم ان كان اعتماده
حينئذ على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وان كان
انما يثق بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله
دون الاسباب كما امر الله به الزاهد الذي عرفت قصته واما توطين
نفسه باختياره على الموت جوعا فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته يتعبد به من غير كسب فهو ايضا
قد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق عليه السلام ان من قوم اشد
عبادة منه وربما يكون مثله كلا على الناس فان حاله تنادي بالبوس
والياس بل هو ضرب على بواطن الناس وتعرض للذل الا اذا خرج من بين
الناس فرجع الى الاول من تغريره بالنفس وتعرضه للهلاك وليت شعري
اي مدخل في خفاء الاسباب وجلائها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة
بالله وحده لا بالاسباب نسوا وجود الاسباب وفقدها جلاؤها وخفاؤها

يتفاوت

ثم درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه
وفي قصر الامل وطوله وفي مقدار الادخار بحسب الامل وللمتفردين والمعيل فمنهم
من هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب اليمين ومنهم من لا توكل له
اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا وقلته وكثرته
ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث
لا يحتسب كسب ام لم يكتسب الا انه لا يترك الكسب بل يتبع امر الله فيه وليس
وثوقه الا بالله وحده دون كسبه قال الصادق عليه السلام ابى الله عز وجل
ان يجعل ارزاق المومنين الا من حيث لا يحتسبون وانما خصه بالمومنين
لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكل على الله
عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء
والاولياء ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قال السجاد عليه السلام رايت الخير
كله في قطع الطمع عما في ايدي الناس ومن لم يرج الناس في شي ورد امره الى
الله تعالى في جميع اموره استجاب الله تعالى له في كل شي وقال الباقر عليه السلام بئس
العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق عليه السلام
شرف المومن قيام الليل وعزه استغناوه عن الناس   في الصدق
واداء الامانة وادنى الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله بترك
المعاريض من غير ضرورة حذرا عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة

ورعايته

ورعايته مع الله فمن قال وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه او اياك
نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحيضها لله تعالى الشوب
يفوته يقال صادق الحلاوة اي محضها فالصادق في النية لا بد ان يكون
مخلصا ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم
العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه
او شطره واذا لقيت عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت
وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة
ثم في الوفاء بالعزم فالنفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد
فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة
وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن
الى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك
لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصده مشاهدة
غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه راه قائما بين يدي الله
عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين شهوة من شهواته وكذلك
قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك فهذا

غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا بجمع
من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او
خيرا من ظاهره وهذا كما قال امير المومنين عليه السلم اني والله ما احثكم على طاعة
الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها ثم في مقامات
الدين وهو اعلى الدرجات واعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم و
الزهد والحب والتوكل وساير المكارم فان هذه الامور لها مبادي ينطلق
الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها
قال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله
اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
ثم قال والصابرين في الباساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل
ابو ذر رضي الله عنه عن الايمان فقرأ هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان
فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الايمان فقرأ هذه الاية وانظر
للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف من الله خوفا ينطلق عليه
الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا
او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه ويرتعد فرايصه وينغص عليه عيشه
ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده و
قد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة

والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه لا يخاف النار
ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها
والتحقق لهذه الامور عزيز جدا ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف
واما قوي ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق و
بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم اذا اردت ان تعلم
اصادق انت ام كاذب فانظر في قصد معناك وعقود دعواك وعيرهما
بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق
فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق
ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف
بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم ينزع فما ذا يصنع وعنه عليه السلم ان الصادق
اول ما يصدقه الله تعالى يعلم انه صادق فتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه
عليه السلم قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب
حتى يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر واذا
كذب قال الله تعالى كذب وفجر وفي رواية ليصدق حتى يكتبه الله صديقا
وعنه عليه السلم قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد

والصدق والورع وقال لبعض اصحابه انظروا ما بلغ علي عليه السلم عند رسول الله
صلى الله عليه وآله فالزموه فان عليا انما بلغ عند رسول الله بصدق الحديث
واداء الامانة وقال عليه السلم لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فان
ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه
واداء امانته وقال عليه السلم ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث
واداء الامانة الى البر والفاجر وعن النبي صلى الله عليه وآله اداء الامانة
يجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر وعن امير المومنين عليه السلم ادوا الامانات
ولو الى قاتل ولد الانبياء وعن الصادق عليه السلم من ائتمنك بامانة فادها
اليه ومن خانك فلا تخنه

في العبادات واسرارها وفيه سبعة ابواب

في النية والاخلاص

قال النبي صلى الله عليه وآله
انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه وانما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد
ليست نيته من تلك الهجرة الا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت
عند الاستيلاء فبين صلى الله عليه وآله ان كل احد ينال في عمله ما يبتغيه
ويصل الى ما ينويه كائنا ما كان دنيويا او اخرويا وهذا الخبر مما يعده
اصحاب الحديث من المتواترات وهو اول ما يعلمونه اولادهم ويقولون انه

نصف العلم واعلم انه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد من طاعته بحيث يترتب
عليه الاجر في الآخرة الا ما يراد به التقرب الى الله تعالى والدار الآخرة اعني
به وجه الله او التوصل الى ثوابه او الخلاص من عقابه وبالجملة امتثال
امر الله تعالى فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا وطمعا
وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وكلما وعد به الجنة واوعد عليه النار في
الايات التي لا تحصى فرغب ورهب ووعد واوعد وانما يثيبهم على
حسب اقدارهم ومنازلهم ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف نواله
واحبه واشتاق اليه واخلص عبادته لله لكونه اهلا للعبادة والمحبة
له احبه الله واخلصه واجتباه وقربه الى نفسه وادناه قربا معنويا
ودنوا روحانيا كما قال في حق من هذه صفته وان له عندنا لزلفى و
حسن مآب قال امير المومنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه الهي ما
عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن وجدتك اهلا للعبادة
فعبدتك ومن لم يعرف من الله سوى كونه الها صانعا للعالم قادرا قاهرا
عالما وان له جنة ينعم بها المطيعين ونارا يعذب بها العاصين فعبده
ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته وطاعته الجنة
وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع من كتابه فانما لكل امرى
ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل

الثواب والخلاص من العقاب زعما منه ان هذا القصد مناف للاخلاص
الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من قصد ذلك فانما قصد
جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا قول من
لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها بل ولا معرفة له بمعنى النية
وحقيقتها وانما عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها
ومطلبها اما عاجلا واما آجلا لا مجرد قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة
الى الله وتصور معنى هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن للنفس
انبعاث الى التقرب فهيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك
الا كقول الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصدا حصول الاشتها وهذا
الانبعاث اذا لم يكن حاصلا لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد تقوله و
التصور واكثر الناس يتعذر منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم
لا يعرفون من الله سبحانه الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا النار و
يحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها و خصوصا
من كان الغالب على قلبه الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل
الخيرات لينال بها ثواب الاخرة فضلا عن عبادته على نية اجلال الله عز وجل
لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها فلو كلف
بها لكان تكليفا بما لا يطاق وليس معنى الاخلاص في العبادة الا ان يكون

مشوبة

مشوبة بشوايب الدنيا والحظوظ العاجلة للنفس كمدح الناس والخلاص
من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما ياتي بيانه وظاهر انه لا ينافيه ارادة
الجنة والخلاص من النار مما وعدنا في الاخرة وان كان من جنس المالوف في
الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات لكان الترغيب والترهيب
والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت شعري كيف يمكن للعبد الضعيف
المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا
نشورا ان يستغني عن جلب النفع من مولاه لنفسه او دفع الضرر عنها ومن
امعن حق الامعان فلا يجد اكثر القايلين ببطلان العبادة باحدى النيتين
الا ونياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع الى احدهما وهم لا يشعرون وعن الصادق
عليه السلم العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد و
قوم عبدوا الله عز وجل لطلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله
عز وجل حبا له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة وقوله عليه السلم وهي
افضل العبادة يعطي ان العبادة على الوجهين الاولين لا تخلو من فضل ايضا
فضلا عن ان تكون صحيحة   قد ورد في الحديث المشهور عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال نية المومن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل
يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث على اقوال شتى والذي ظهر لي
ان ذلك لان المومن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها

فكان الثواب المترتب على نياته اكثر من الثواب المترتب على اعماله وايضا
ان المومن ينوى ان تقع عباداته على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضى
ذلك ثم اذا كان تشتغل بها لا يتيسر له ذلك ولا يتاتى كما يريد فلا ياتى بها
كما ينبغى فالذى ينوى دايما خير من الذى يعمل به فى كل عبادة والى هذا اشار
الباقر عليه السلم حيث كان يقول نية المومن خير من عمله وذلك لانه
ينوى من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوى
الشر ويامل من الشر ما لا يدركه وعن الصادق عليه السلم انه قيل له سمعتك
تقول نية المومن خير من عمله فكيف يكون النية خيرا من العمل قال لان العمل
انما كان رياء للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطى عز وجل على النية
ما لا يعطى على العمل ثم قال ان العبد لينوى من نهاره ان يصلى بالليل فتغلبه عينه
فينام فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة وعنه عليه السلم
ان العبد المومن الفقير ليقول يا رب ارزقنى حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه
الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما
يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عليه السلم انه سئل عن حد العبادة التى
اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال حسن النية بالطاعة يعنى ان يكون له فى عبادته
نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما وافق نيته والا اهتدى بما عليه من العبادة
بحسن نيته وعنه عليه السلم انما خلد اهل النار فى النار لان نياتهم كانت فى الدنيا

ان لو خلدوا

ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها ابدا وانما خلد اهل الجنة فى الجنة
لان نياتهم كانت فى الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا
ابدا بالنيات تخلد هولاء وهولاء ثم تلى قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته
قال على نيته وعنه عليه السلم من سمع شيئا من الثواب على شىء
فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه ومما قيل فى معنى
الحديث المشهور ان النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف نفع العمل
عليها دون العكس ولكون الغرض الاصلى من العمل تأثر القلب بالميل
الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم الاترى الى تاثر المجامع امراته على قصد انها غيرها
بخلاف المجامع غيرها على انها امراته والتاثر صفة القلب وبهذا يعرف
معنى قوله عليه السلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم
القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات
وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان
الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله عز وجل
وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان عاق عن العمل عايق
فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى فى القلب
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وآله لما خرج فى غزوة تبوك ان بالمدينة

قوما ما قطعنا واديًا ولا وطئنا موطئًا يغيظ الكفار ولا انفقنا
نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا
بحسن النية   النية اما واحدة كالقيام للاكرام واما متعددة
كالتصدق للفقر والقرابة فاما الاستقلال شيء ويعرف بالامتناع عند الانفراد
او يستقل متساويًا او متفاوتًا ويتعدد الجزاء بتعددها اخرًا كالدخول
في المسجد لزيارة الله عز وجل فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي من
دخل المسجد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زائره والانتظار الصلاة
والاعتكاف والانزواء والتجرد للذكر وترك الذنوب او شرًا كالقعود فيه للتحدث
بالباطل وملاحظة النساء والمناظرة للمباهاة والمراياة وخيرها يجعل المباح
عبادة كالتطيب يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد والنوم ودفع
الاذى بالنتن وادخال السرور بالعرف وسد باب الغيبة وربما يفضل على
محضها فالترقد بنوم او دفاة مباحة لرد نشاط الصلاة افضل منها
والملال وشرها يجعله معصية كالتطيب للتفاخر بالجهاد والتروء و
التزين للزنا ولا موثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان
النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث
النفس وتوجهها الى ملائم ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلًا او آجلًا وما لم

انظر

يعتقد

يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده
وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب
اذا كان فارغًا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن
في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف لذلك
بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد
غرضًا صحيحًا في الولد لم يمكنه ان يتزوج على نية الولد بل لا يمكن
الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا
الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي
اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد
صلى الله عليه وآله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة
وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك فربما انبعثت من قلبه رغبة الى تحصيل
الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد واذا
انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب
على القلب كان ناويًا واذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه
من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات
اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني نية وذلك لعلمهم بان
النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت

لا سبب قوت وعن الصادق عليه السلم انه اتاه مولى له فسلم عليه
جلس فلما انصرف عليه السلم انصرف معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل
وترك الرجل فقال له ابنه اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال
لم يكن من شاني ادخاله قال فهو لم يكن يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله
عراضا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم صاحب النية الصادقة
صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية
لله في الامور كلها قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله ١٩
بقلب سليم وقال النبي صلى الله عليه وآله نية المومن خير من عمله وقال انما
الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى ولا بد للعبد من خالص النية في كل
حركة وسكون لانه اذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد
وصفهم الله تعالى فقال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال اولئك
هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة وتختلف على
حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه
وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه وهو من
طبعه وشهوته ومنية نفسه منه في تعب والناس منه في راحة
واما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فلا على اراده وجهه
تعالى وتعرفنا التفكر في صفاته وافعاله والمناجاة ثم اراده نفع الآخرة فهو

١٢٥

حظ النفس وورد في حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت
تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المومنين عليه السلم قال طوبى لمن اخلص لله
العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه
ولم يحزن صدره بما اعطى غيره وعن الباقر عليه السلم قال ما اخلص عبد الايمان
بالله اربعين يوما او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله
في الدنيا وبصره داءها ودواءها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه
وعن الصادق عليه السلم في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم
عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال
الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك
عليه احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم
تلا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص
كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك
على القلب وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله
تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم انه
قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول

فاني اخرت يوما العذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس
حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان
يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض
وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم
في الاخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات
ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد مضت الاشارة الى امثال
ذلك في باب ذم الغرور   اعلم انه قد ثبت اجماع الامة على ان
من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس
خالصا للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا عبادة
كما مضى بيانه وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب
بحسبها وليس الامر كما ظن ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه
الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا
ثواب فيه مهما قصد تجارة ولكن الصواب انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي
وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم
اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد ان يقال بذلك وكذا اذا
انضم الى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الاهل ايضا ما غير مستقل ونحوه
اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء التبرد والى نية العتق

سوء الخلق والخلاص عن المؤنة الى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات مستقلة
واما ما لا يضر بالاخلاص من انواع الرياء وغيره فقد تقدم الكلام فيه في باب
الرياء والكبر فلا وجه للاعادة   في مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلم الاخلاص يجمع حواصل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه
الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل عمله ومن لا يتقبل
الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بادم عليه السلم وابليس وعلامة
القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة
وسكون والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال
والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا
فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول هلك
العاملون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون وهلك
العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون
وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى
لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد
طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله
لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص في الدنيا
السلامة من جميع الاثام وفي الاخرة النجاة من النار والفوز بالجنة

في الطهارة والنظافة قال الله سبحانه فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله الطهور نصف
الايمان وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال بني الدين على النظافة وقال
صلى الله عليه وآله بئس العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا فليطهره وقال
امير المومنين عليه السلم النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور
للصلوة مسطور والبصاير بهذه الظواهر ان الايمان انما يتم بعمارة
القلوب والسراير وان المراد بقوله صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان
ان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء نصف الايمان والنصف
الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة فالطهارة له
اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات والثانية
تطهير الجوارح من الجرايم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي
الاخلاق ورذايلها والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل وعلا وهي
طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي
فيها وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة
العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى
الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ

عن طهارة

عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى
ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال الطريقة وكثرت عقباته
ولا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته
عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاولى
التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي
في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء و
النفاق ينبغي للعاقل ان يتذكر بتخليته لقضاء الحاجة نقصه
وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار وباستراحة نفسه عند اخراجها
وسكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على بساط الخدمة و
التاهل للمناجاة هوان الدنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم سمي المستراح مستراحا لاستراحة
النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن
يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبتها فيستريح بالعدول
عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها
استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال
كيف يصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى يورث

له واحد الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفرار من التمتع بها
وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته
اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحيا ويجتهد في
اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبًا لحسن المآب وطيب الزلف ويسجن نفسه
في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار
ويذوق طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء قال النبي صلى الله
عليه وآله ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال صلى الله
عليه وآله صلوة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم قال النبي صلى الله عليه وآله السواك
مطهرة للفم ومرضاة للرب وجعلها من سنة الموكدة وفيها منافع للظاهر
والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما تزيل ما تلوثت من اسنانك من مطعمك
ومأكلك بالسواك كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع و
التهجد والاستغفار بالاسحار وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات
وركوب المناهي كلها خالصًا لله فان النبي صلى الله عليه وآله اراد باستعماله
مثلا لاهل اليقظة وهو ان السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب
مبارك والاسنان خلق خلقه الله تعالى في الخلق آلة واداة للمضغ وسببًا لاشتهاء
الطعام واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام

وتتغير بها رايحة الفم ويتولد منهما الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن
الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية ازال عنهما الفساد
والتغير وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرًا صافيًا وجعل غذاءه
الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب القلب الصافي في تغذيته بالغفلة
والكدر صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الانابة ليعود الى حالته
الاولى وجوهرته الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وان النبي صلى الله عليه وآله امرنا بالسواك ظاهر الاسنان
واراد بهذا المعنى المثل ومن اناخ تفكره على باب العبرة في استخراج مثل
هذه الامثال في الاصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله
والله لا يضيع اجر المحسنين قال النبي صلى الله عليه وآله من توضأ
فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب
ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال الصادق عليه السلم
من ذكر اسم الله على وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء تقدمك الى رحمة الله فان الله
تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان
رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره قال الله
تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء

طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء
من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات وتفكر
في صفاء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في
تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وآت بادابها فرايضه وسننه
فان تحت كل واحد منها فوايد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك
عين فوايده عن قريب ثم عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالاشياء يودي
كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه معتبر القول رسول الله صلى الله عليه وآله
مثل المومن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة
الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند
طهارة جوارحك بالماء وقال الرضا عليه السلام انما امرنا بالوضوء ليكون العبد
طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا
من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفواد
للقيام بين يدي الجبار فانما وجب على الوجه واليدين والراس والرجلين
لان العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب
فيه الوضوء وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسال ويرغب
ويرهب ويتبتل وبراسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم
ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلا لان الجنابة من نفس الانسان

وهو شي يخرج من جميع جسده والخلا ليس هو من نفس الانسان
انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية اخرى عنه
عليه السلام قال وعلة التخفيف في البول والغايط انه اكثر وادوم من الجنابة
فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة
والجنابة لا تكون الا بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم قال بعض اصحابنا
ما ملخصه ان الدنيا والاخرة ضرتان كلما قربت من احدهما بعدت من الاخرى
فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة
الله والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل الوجه التي فيه اكثر الحواس الظاهرة
التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله
وهو خال من تلك الادناس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية
والشهوات الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لانهما
يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى تحصيل مآربه فيطهرها جميعا ليسوغ له الدخول
بها في العبادة والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان ادنى حالات
الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات
الغسل والجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله
تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة العلية منغمسا في اللذات
الدنية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية ليتاهل المقابلة للجهة الشريفة

والدخول فى العبادة المنيفة وامر فى التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر
غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء الرئيسة وهضما لها بتلقيمها تراب
التربة الخسيسة قال ولما كان للقلب من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل كان
الاشتغال بتطهيره من الرذايل والتوجهات المانعة من درك الفضايل اولى من
تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يكن تطهيره من الاخلاق
الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقمه مقام الهضم والازراء وليسقه
بسياط الذل والاغضاء عسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم
وهو منكسر متواضع فيمسه نفحة من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة
قلوبهم كما ورد فى الاثر فترق من هذه الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال وتلافى
سالف الاهمال قال امير المومنين عليه السلم نعم البيت الحمام يذكر فيه
النار ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغى للعاقل ان لا يغفل عن
ذكر الاخرة فى لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء
او نار او غيرها عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة تذكر ظلمة اللحد وان نظر
الى حية تذكر افاعى جهنم وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان راى
شيا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردا وقبول تذكر ما ينكشف له فى
اخر امره بعد الحسنات من الرد والقبول الى غير ذلك والحمام اشبه شى بجهنم
النار من تحت والظلام من فوق فينبغى ان يتذكر حر النار وحرارته ويعد نفسه

محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم ويستعيذ بالله منها
قال الصادق عليه السلم فاذا دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار
ونساله الجنة ترددها الى وقت خروجك من البيت الحار
فى الصلوة والذكر قال الله عز وجل والذين هم فى صلوتهم خاشعون
وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها
مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه اقم الصلوة
لذكرى وقال ولا تكن من الغافلين وقال ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة وقال النبى
صلى الله عليه واله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشى من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقال انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتندم
وتقنع بيديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج وقال اذا صليت
صلوة فريضة فصل لوقتها صلوة مودع تخاف ان لا تعود فيها وقال صلى الله
عليه واله لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق عليه السلم
من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه وروى
ان ابرهيم الخليل كان يسمع تاوهه على حد ميل وكان فى صلوته تسمع له ازيز
كازيز المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه واله
مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبى صلى الله عليه واله يحدثنا ونحدثه فاذا

الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المومنين عليه السلم اذا اخذ
في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان عليه السلم اذا حضر وقت الصلوة
يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها
الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وكانت
فاطمة عليها السلم تنهج في الصلوة من خيفة الله وكان الحسن عليه السلم اذا فرغ
من وضوئه تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على
ذي العرش ان يتغير لونه وروي مثل هذا عن السجاد عليه السلم وعنه عليه السلم انه
كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء
فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم قيل ورايته عليه السلم يصلي فسقط رداؤه
عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلوته فسالته عن ذلك فقال ويحك اتدري
بين يدي من كنت ان العبد لا يقبل منه صلوة الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك
هلكنا فقال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل وعن الصادق عليه السلم قال كان علي
بن الحسين عليهما السلم اذا قام الى الصلوة تغير لونه واذا سجد لم يرفع راسه
حتى يرفض عرقا وعنه عليه السلم قال كان ابي يقول كان علي بن الحسين اذا قام
الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه وعنه عليه السلم انه
سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك
فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت

تنهج بالنون قبل الهاء والجيم بعدها من النهج بالتحريك البهر وتتابع النفس منه رحمه الله

ارفضاض الدموع ترششها ص

جسمي لمعاينة

لمعاينة قدرته قيل وكان لسان الامام عليه السلم في تلك الحال كشجرة طور
حين قالت اني انا الله وعنه عليه السلم قال لا يجتمع الرغبة والرهبة في
قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه
ليس من عبد مومن يقبل بقلبه على الله عز وجل في صلوته ودعائه الا اقبل الله
عليه بقلوب المومنين وايده مع مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر عليه السلم
قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع
له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة
ان قيل المستفاد من هذه الايات والاخبار ان صلوة من يغفل عما يقول
فيها ويفعل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم يشترطوا
الا حضور القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا فان المصلي في صلوته
ودعائه مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الحديث ايضا ولا شك ان الكلام مع
الغفلة ليس بمناجاة والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير
الا بحضور القلب فاي سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا
ولا شك ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء
والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده
بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود
بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان

بها هذا حكم القراءة والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم
قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق
الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان
به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على سائر
العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء
فرقا فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة والتقرب الى الله
والمعنى بالاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يثب عليه والناس مختلفون
في تحمل التكليف فالتكليف انما هو بقدر حوصلة الخلق وبابليتهم في سعيهم و
تصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا احضار القلب في جميع الصلوة فان
ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة
فلا مرد له الا ان نشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى
اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو
ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة
اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث
ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره
وعذره وقد ذكرنا في باب العقائد في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور
الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل

الكلام

الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور
عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح
في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل
في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به اعلم ان المعاني الباطنة التي
بها تتم حيوة الصلوة يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم
والهيبة والرجا والحيا فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما
هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر
جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما
هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب ثم التفهم لمعنى الكلام
وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون
حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي
اردنا بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس
في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء
الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة
ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر
لا محالة ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل يخاطب
غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له ثم الهيبة

وهي زايدة على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشاوه التعظيم لان من لا يخاف
لا يسمى هايبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الاجلال
ثم الرجا فالعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره
عقاب الله ثم الحيا ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ولتذكر اسباب
هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك
فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه
ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة
مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف
الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب
منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة
وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها
حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة واما التفهم فسببه بعد حضور القلب
ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار
القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر
الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر
اليها وما لم ينقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيا اكثر
ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله

لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين
احدهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد
عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها
وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع
لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب
لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز
ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان
القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة
والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته
فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه
ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصايب وانواع البلاء
مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة
واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه
ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث من مجموعهما الرجا لا محالة واما الحيا فباستشعار التقصير في
العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة
بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ

الغافل في جميع افعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه
مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف
اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء اعلم ان
المومن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحييا من تقصيره
فلا ينفك من هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه
عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن
المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الردية
الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء
الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في
ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف
الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم يجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار
سببا للافكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته
وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان
يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويحترز من
الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان
المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون
اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون

موضع السجو

موضع السجود كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا
من على يمينهم وشمالهم واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم
في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب
وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل
فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراء ويشغلها به عن غيره
ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر
الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول
المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة مما يهمه فلا يترك لنفسه
شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان كان
لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة
الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له
عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت
مهمة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك
العلائق وكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه
اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه ولا يغني عنه غير ذلك فاما ذكرنا
من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة
والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع

معها التسكين بل لا يزال يجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك
في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت
اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره
فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع
فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت
اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب
الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا
فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد
وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد
ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ويستعين
بها على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من
فرح بالدنيا فلا يفرح بالله ومناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه في الدنيا — فان كانت قرة عينه م
انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة
ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المرة
استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر
اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيهما باموز الدنيا فعجزوا
عنه فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها

عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة
فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه
خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه الخل لا محالة ولا يجتمعان
اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة
وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا
النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا
النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم
انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وآله ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر
بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك
ان الله جل جلاله هو الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك تعظيمه
عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف
عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وآله و
تادب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وآله وحرك نفسك
واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير
الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختم ذلك كما افتتحت
به واجعل مبداك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك على حوله

وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم   اذا اتيت
بالطهارة فى مكانك وهو طرف الا بعد ثم فى ثيابك وهو طرف الاقرب
ثم فى بشرتك وهي فى ترك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك و هو
قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك
فى المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك قال الصادق عليه السلم
وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام
الخبر فى باب الطهارة ثم اذا سترت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس
فاخطر ببالك فضايح سرك التى لا يطلع عليها الا ربك وطالب نفسك
بسترها وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء
والخوف فيستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء
من مكامنها فتذل به نفسك وتسكن تحت الخجلة وتقوم بين يدى الله
تعالى قيام العبد المجرم المسىء الابق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه
من الحياء والخوف فى مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم ازين اللباس
للمومنين لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل ولباس التقوى
ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بنى ادم
وهي كرامة اكرم الله بها عباده ذرية بنى آدم ما لم يكرم بها غيرهم
وهي للمومنين آلة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك

عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب والرياء و
والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين ومورثة القسوة
فى القلب واذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته
والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك
فى ستر الرهبة وظاهرك فى ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل
حيث خلق اسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة
والانابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح
احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك فان نشاء
الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى فى العاجل واوفر اسباب العقوبة فى
الاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك
ما يشين فى دين الله فهو بمعزل من الآفات خايض فى بحر رحمة الله يفوز
بجواهر الفوايد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه
راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا   وفى مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلم اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا عظيما
لا يطا بساطه الا المطهرون ولا يوذن لمجالسته الا الصديقون وهب
القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت
واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف

عليك بفضله ورحمته تقبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا
كثيرا وان طالبك باستحقاق الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد
طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك
بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه
ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه
واخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص
فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته
وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته فقد صلحت
لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه
الحيل وقصر عنه الامل وقضى الاجل واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر
اليك بعين الرافة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب
الكرامة لعباده المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى
ام من يجيب المضطر اذا دعاه   واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك
عن ساير الجهات الى جهة بيت الله امر ان صرف القلب من ساير الامور الى
امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر
تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا
تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت

به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه
الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ
عما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد الى صلوته
وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله اما
يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا نهي
عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا
وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك
فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة
عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلم اذا استقبلت القبلة فانس من الدنيا وما فيها والخلق
وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين
بسرك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت
وردوا الى الله مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجا   واما القيام
فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك
مطرقا متطاطيا متنكسا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب
التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام
بين يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله

وهو مطلع عليك فهم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان
ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك
ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من اهلك او ممن تعرفه
بالصلاح فانه يهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك ويسكن جميع اجزائك
خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست
من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك
تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا
من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولما سئل النبي صلى الله
عليه وآله كيف الحياء من الله فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح
من اهلك   واذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر
نفسك وخسة عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همتك عن القيام بوظائف
خدمته واستتمام حقايق عبادته وتفكر عند قولك اللهم انت الملك
الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العالم ثم ابخع الى
نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك
عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر دعوته
لك بالقيام بهذه الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة
الداعي اذا دعاه ويسمع نداءه وان بيده خير الدنيا والاخرة لا بيد غيره

عند قولك

عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك ونزهه من الظلم والشر و
ابدله بها محض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت واعترف له بالعبودية وان قوام وجودك وبدوه ومعاده
منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك اي منك
وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه الحقايق وترق منها الى ما ينفتح عليك
من الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الاعلى   واما النية فاعزم
على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه
وطلبا للقربة منه متقلدا المنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك
وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف
تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان تعرق جبينك من الخجلة وترتعد
فرايصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله
سبحانه اكبر من كل شيء او اكبر من ان يوصف وان يدرك بالحواس او يقاس
بالناس فاذا نطقت به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك
شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام صدقا
كما شهد على المنافقين في قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله رسول الله فان كان

هواك اغلب على قلبك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك
وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب
عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم اذا كبرت
فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على
قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني
وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة
بمناجاتي فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها
وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته ملتذا بمخاطباته
فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان
حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه واما دعاء
الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما
وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه
مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو
الذي تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه هو الى اماتيه
وهممه في البيت والسوق ويتبع الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض
واياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه

الى الله

الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت
عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صديقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي
ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق
من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن منفيا من هذا
الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين
من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير
منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه
موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته
في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما للحال واذا قلت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك
عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب
سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه
وتبدله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه
او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك

لاينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب
الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم
على القعود بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ
قال تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما
من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده
ان يشغلك في الصلوة بذكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما
تقرا فاعلم ان كلما يشغلك عن معاني القران فهو وسواس فان حركة اللسان
غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك
لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم
منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه
الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون
اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان
يتبع القلب   واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء
القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد
بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله و
معناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد
غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر

التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه
لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف
بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا مالك الا هو واما الخوف فلهول
يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك
نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك اياك
نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة في توفيقك
لطاعته وتخديمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت
من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعوذ وعن قولك بسم الله
وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك
ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا
الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا
واستشهادا بالذين انعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى
والصابئين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى
فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين
نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله
حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره

فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك
به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من
السورة كما ياتي في باب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده و
مواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق
الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق المواعظ والشكر
حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء. ويكون هذه المعاني بحسب درجات
الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر
والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق
الاذكار والتسبيحات ايضا ثم تراعي الهيبة في القراءة فترتل ولا تسرد ولا تعجل
فان ذلك ايسر للتامل وتفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد
والتعظيم كان بعضهم اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القران اقرا وارق
فكلما قرا اية صعد درجة   واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة
القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه وآله ان الله
مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى
الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيرها
فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه.

والزم خشوع

والزم خشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع
ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وآله وقد راى مصليا
يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي
ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك
يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي
ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله
خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله
وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين   واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله
وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له
ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر
ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك
بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك
على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتوكد
الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف
ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخشوع والابتهال
فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المومنين عليه السلام انه سئل

عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك ولو ضربت عنقي
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة
الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه
والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب
وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله
بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خايف حزن على
ما يفوته من فايدة الراكعين وحكى ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في
ركعة واحدة فاذا هو اصبح تزفر وقال اه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف
ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك بالقيام بخدمته الا بعونه وفر
بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده فان الله تعالى يرفع عباده بقدر
تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته
على سرايرهم ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز
اعضايك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما
حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على الذل واذا وضعت
نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله
فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل
سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا رق قلبك

وظهر لك ذلك فلتصدق رجاوك في رحمة ربك فان رحمته يتسارع الى الضعف
والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسايلا حاجتك ومستغفرا من
ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين
انه سئل ما معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض
وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلم ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما
افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد الله
للساجدين من انس العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه
في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في
حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب يطاه
الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب
التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر
انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل
ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون الله
تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله
تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى الله عليه واله
قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي ابتغاء وجهي
ومرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلوته بغيري فهو من

المستهزئ بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين واذا جلست
للتشهد بعد هذه الافعال الدقيقه والاسرار العميقه المشتمله على الاخطار
الجسيمه فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون
جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه فاجعل يدك صفرا من فوائدها
الآن يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله وارجع الى مبدا
الامر واصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي من دخله
كان امنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد لله بالوحدانية واخص رسوله
الكريم ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله بالرسالة واشهد له بالعبودية وا
وصل عليه وعلى آله مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضا لتاسيس
مراتب العبادة فانهما اول الوسايل واساس الفواصل من قبل الاجابة صلى الله
عليه وآله لك بصلوتك عشرا من صلوته اذا قمت بحقيقة صلوتك على النبي
لو وصل اليك منها واحده افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
التشهد ثناء على الله فكن عبدا له في السر خاضعا له في الفعل كما انك له عبد في
القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك
ان تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته
لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته وهم
عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته فاستعمل العبودية

في الرضا

سال ۱۳۴۸ خرداد شيد ...
بازبينى شد

في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد
صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته
بشهادته وانظر ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلوته
واذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملئكة
المقربين وبقية انبياء الله وائمته عليهم السلم والحفظة لك من الملئكة المحصين
لاعمالك واخطرهم جميعا في بالك وقل السلم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا تطلق
لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين
واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته التامة
ورافته الكاملة في اجتزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا عن درجات
القبول منحطا عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم
بالسلام مع من تقدم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك بضام
مقصدك بسلام ثان فاذا فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلم واستحققتم
من الله مزيد الاكرام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم معنى السلام في
دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا لله خاشعا
قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة والسلام اسم من
اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات
وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع

السلام موضعه ويؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك
وعقلك ان لا تدنسهما بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم
وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فان لم
يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه
فلا سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق

اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداؤها
بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول الانوار
في القلب يكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون
الذينهم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة
وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة فقال في آخرها
والذينهم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة
الفردوس اخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد المؤمن في
صلوته نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق
راسه الى افق السماء والملئكة تحفه من حوله الى افق السماء ووكل الله
به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي
ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا   ويختص صلوة الجمعة باستعداد

ان يومها يوم عظيم وعيد شريف خص الله به هذه الامة وجعله وقتا
شريفا لعباده ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده ونارده وحثهم
فيه على الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من
الاهمال وجعل اهم ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفى لديه صلوة
الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوات
هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ما يتنبه له من له حظ من المعاني
ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه نبه بهذا على ان الغرض الاقصى
من الصلوة ذكر الله بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا واشباهه هو السر
في الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة
جلاله الذي هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن ان يكون
ذكرا مطلقا فلا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيؤ
والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول في حضرته والفوز
بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم من التنظيف و
التطييب والتعمم وحلق الراس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن
بقلب صاف وعمل مخلص ونية خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا ولا تقصد

بهذه الوظايف حظك من الوفاهية فتحسن صفقتك ويظهر بعد ذلك حريتك
وكلما امكنك تكثير المطالب التى يترتب عليه الثواب بعملك فاقصدها
يضاعف ثواب عملك بقصدها ان امكنك ذلك   واما صلوة العيدين
فاحضر فى قلبك انها فى يوم قسمة الجوايز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب من
قبل صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع فى صلوتك والابتهال
الى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها فى قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر
الحيا والخجلة من خيبة الرد وخذلان الطرد فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد
وانما هو عيد من امن الوعيد وسلم من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله
المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظايف واسباب التهيؤ
للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة
والخضوع لديه ولا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لاجله من متاع الدنيا بل
بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الاخرة   واما الايات
فاستحضر عندها اهوال الاخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة
ووجل الخلايق وخوفهم من الاخذ والنكال والعقوبة والاستيصال فاكثر
من الدعاء والابتهال بزيد الخضوع والخشوع والخوف والوجل فى النجاة من تلك
الشدايد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة وتب الى الله
من ذنوبك واحسن التوبة عسى ان ينظر اليك وانت منكسر النفس مطرق الرأس

مستحي من التقصير فيقبل توبتك ويسامح هفوتك قال السجاد عليه السلام بعد فزع
للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى
الله وراجعوه وقال الرضا عليه السلام انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات الله
تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت ام العذاب فاحب النبى صلى الله عليه وآله ان تفزع
امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف
من قوم يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل   ينبغى للمصلى ان يعقب
فرايضه بالذكر والدعاء فقد ورد فى فضلهما ولا سيما عقيب الصلوة
ما لا يحصى اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او فى اكثر الاوقات
مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات وللذكر اول واخر فاوله يوجب
الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب والمطلوب منه ذلك الانس فان
العبد فى بداية الامر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله
تعالى فان وفق للمداومة انس وانغرس فى قلبه حب المذكور ومن احب شيئا اكثر
ذكره ومن اكثر ذكر شى وان كان تكلفا احبه ثم اذا حصل الانس بذكر الله
انقطع عن غير الله وما سوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان
كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات
الحاجات فى الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عايق فكانه خلى بينه
وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا به فيه عما به انسه

وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى
من الذكر الى اللقاء واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي
وعن الباقر عليه السلم في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء وقال في قوله سبحانه
ان ابرهيم لاواه حليم قال الاواه هو الدعاء وسئل عليه السلم اي العبادة
افضل فقال ما من شيء افضل عند الله من ان يسئل ويطلب مما عنده وما من
احد ابغض الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسئل ما عنده وقال امير المؤمنين
عليه السلم احب الاعمال الى الله تعالى في الارض الدعاء وكان عليه السلم رجلا
دعاء وقال عليه السلم الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما
صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص
فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم
احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله
وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن
فيه من الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله
بشيء فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسال ولماذا تسال
والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك

الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله فان لم تأت
بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشيء
قد علم من نيتك بخلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا
اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط
الدعاء قال فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك
لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان يعجل لك بما سالت ويدخر لك ما هو اعظم
منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما ان لو ارسله عليك لهلكت وروي
عن الصادق عليه السلم انه قرأ امن يجيب المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو
ولا يستجاب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه وتسئلون ما لا تفهمونه
فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان من
لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال
وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجراة على الله وفي تلاوة
القرآن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة
ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة وفيه
كمال دينكم وما عدل احد عن القرآن الا الى النار وقال صلى الله عليه وآله
انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم

ما تعلمتم بكتاب الله واهل بيتي وقال امير المومنين عليه السلم صلوات الله
عليه واله في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية وعليك بتلاوة القران والعمل
به ولزوم فرايضه وشرايعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه والتهجد به
وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى خلقه فهو
واجب على كل مسلم ان ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين اية واعلم ان درجات
الجنة على عدد ايات القران فاذا كان يوم القيمة يقال لقاري القران اقرا
وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين ارفع درجة منه وعن
الباقر عليه السلم يجي القران في احسن منظور اليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون
هذا رجل منا فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو منا فيجاوزهم الى الملئكة
المقربين فيقولون هو منا حتى ينتهي الى رب العزة جل وعز فيقول يا رب فلان
بن فلان اظمات هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا وفلان بن فلان
لم اظما هواجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى ادخلهم الجنة على منازلهم فيقومون
فيتبعونه فيقول للمومن اقرا وارقه فيقرا ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته
التي هي له فينزلها وعن النبي صلى الله عليه واله ما يقرب منه مع زيادات
وعن الصادق عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه واله اقرؤا القران
بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكباير فانه سيجي بعدي
اقوام يرجعون القران ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم

قلوبهم

قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم وعنه عليه السلم انه سيل عن
قول الله عز وجل ورتل القران ترتيلا قال امير المومنين عليه السلم تبينه بيانا
ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن
هم احدكم اخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف
وعن الصادق عليه السلم هو ان تتمكث وتحسن به صوتك وعنه عليه السلم ان القران
نزل بالحزن فاقرءوه بالحزن وعن النبي صلى الله عليه واله اتلوا القران وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا وعن الصادق عليه السلم قال قال النبي صلى الله عليه واله لكل شي حلية وحلية
القران الصوت الحسن وعنه عليه السلم قال كان علي بن الحسين عليهما السلم احسن الناس
صوتا بالقران وكان السقاؤن يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم من قرا القران ولم يخضع له ولم يرق
قلبه ولم ينشي حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا
مبينا فقاري القران يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع
خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الاسباب تجرد قلبه للقراءة
فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القران وفوايده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل
من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاولتين استانس روحه وسره بالله ووجد
حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه

لهم بقبول كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ
لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يوثره على كل طاعة
وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرا كتاب ربك
ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه
كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا
وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من
حروفه في اضاعة حدوده   ينبغي لتالي القران من امور باطنية منها
فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله
الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو
صفة قايمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات
هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه
ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش و
لا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله
موسى عليه السلم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار
دكا وهذا كان للناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون
من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب تقصر تمييزها عن فهم كلامهم
الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز

البها

البهايم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهايم باصوات يضعونها لايقة
بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتهم التي يطيقون حملها
وكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف
للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في
الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة
للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع
الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم
ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء الشمس ما تحيى به ابصارهم
ويستدلون به على حوايجهم فقط   ومنها التعظيم للمتكلم فالقاري
عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان
ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى
قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر
بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور
التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه
كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ومنها حضور القلب وترك حديث
النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به

ويستانس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي
اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي
يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر وهو التدبر وهو
وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع
القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر قال الله تعالى
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ولذلك سن فيه الترتيل لان
الترتيل في الظاهر يمكن التدبر في الباطن قال امير المؤمنين عليه السلام لا خير في
عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد
فليردد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلى الله
عليه وآله فقام ليلة بآية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم   ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل آية
ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله و
ذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره
وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر فليتامل معاني هذه الصفات والاسماء لتنكشف له اسرارها فتحتها
معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار امير المؤمنين عليه السلام

بقوله

۸۴۱۱ رک